من روائع المسرح

غارسيا لوركا

تعريب

توفيق عاشور

عز الدين القرواشي

يرما

الدار التونسية للنشر

اهداءات ٢٠٠١

ا.صلاح راتب

القاهرة

غارسيا لوركا



تعريب

توفيق عاشور عز الدين القروابشي

الدار التونسية للنشر

طبع من هذا الكتاب

ثلاثمائة نسخة مرقمة

قامت بتمثيل رواية « يرما » لأول مرة فرقة بلدية تونس العاصمة وذلك يوم 10 مارس 1967 بادارة واخراج علي بن عياد وتصميم الملابس والمناظر جان بيار نيكولا .

توزيع الأدوار

يرما	نرجس عطية
الرجل	عمر زويتن
الطفل الأول	شكري التومي
خوان	عبد الرزاق الزعزاع
ماريا	زكية الحلصي
فيكتور	البشير الدريسي
العجوز 1	منى نور الدين
المرأة 1	كلثوم الحويلدي
المرأة 2	سامية مزالي
غسالة 1	أنيسة لطفي
غسالة 2	اسمهان شرف الدين
غسالة 3	لطيفة بن مامي
غسالة 4	وفاء سالم
غسالة 5	مفيدة الزهاق
غسالة 6	قمر الحويلدي
الأخت 1	حبيبة السوسي
الأخت 2	سلوى عبدو
دولوراس	عبد الحفيظ السمالوسي
العجوز 2	فرحات يامون

الطفل الثاني	رياض عطية
الأنثى	أنيسة لطفى
الذكر	على بن عياد ومحمد كوكة
المرأة 1	رجاء السويسى
الرجل 1	محسن بن عبد الله
المرأة 2	مفيدة الزهاق
الرجل 2	على الورغى
المرأة 3	اسمهان شرف الدين
الرجل 3	الحبيب الشعرى
المرأة 4	وفاء سالم
المرأة 5	لطيفة صامى
المرأة 6	قمر الحويلدى
المرأة 7	كلثوم الحويلدى
الرجل 4	عمر زويتن
الرجل 5	الحبيب البرادعى

الفصل الاول

اللـــوحـة الاولـــى

عند رفع الستار تبدو (يرما) نائمة وعند قدميها سلة خياطة. الركح يغمره نور غريب كنور الحلم . يدخل راع على اطراف قدميه . ينظر الى يرما محدقا وهو يمسك بيد طفل يرتدى ثوبا ابيض اللون . بعد خروج الراعى يشع على الركح نـور جذلان فى اشراقة الربيع .

أغنية (من جوانب الركح)

للصبـى النـائـم
للصغيـر الراضـع
فيه نستخفى معـا
سوف نبنى مـذود

يـرمـا خوان ، أأنت هنا خوان ؟

خـوان اننى آت .

يـرمـا لقد حان الوقت .

خـوان هل مرت الثيران ؟

يـرمـا مـرت ٠

خـوان الى اللقاء ٠ (يتاهب للخروج)

يـرمـا الا تتناول كاسا من الحليب ؟

خـوان ولمـاذا ؟

يـرمـا انك تعمل كثيرا وليست لك قوة المقاومة ٠

خـوان ان الرجال الذين تبقى اجسامهم نحيفة يصيرون صلبة كالفولاذ ٠

يـرمـا لست منهم ٠ لقد كنت عند زواجنا على خـلاف ما انت عليه اليوم ٠ امـا الآن فوجهـك مبيض كان الشمس لا تلمسه ابدا ٠ كنت اود ان اراك تذهب للسباحة فى النهر وتتسلق السطح عندما يتسرب منه ماء المطر الى الدار ٠ مضت اربعـة وعشرون شهرا على زواجنا وانت فى كل يـوم اكثر حزنا واشد نحولا كما لو كنت تنمـو الى الـوراء ٠

خـوان انتهيـت ؟

يـرمـا لا تغضب ! لو كنت انا مريضة لاحببت ان تعتنى بى ٠ « زوجتى مريضة ٠ ساذبح لها هذا الخروف لاشوى لها لحما شهيا ٠ » « زوجتى مـريضة ٠ ساحتفظ لها بشحم هذه الدجاجة لاشفيها مـن سعالها ٠ ساحمل اليها جلد النعجة هذا لاحمى قدميها من الثلج ٠ » هكذا انا ٠ ومن اجل هذا اعتنى بـك ٠

خـوان أشكرك على صنيعك هذا ٠

يرما: ولكنك لا تدعنى اعالجك ·

خوان: لاننى لا اشكو شيئا · كل هذا اوهام تتخيلينها · انى اعمل كثيرا وسوف اتدرج الى الشيخوخة عاما بعد عام ·

يرما: عاما بعد عام ! ... بالنسبة الينا — نحن الاثنين — سوف تكون الاعوام كلها متشابهة ·

خوان: (مبتسما) بالطبع · وهادئة ناعمة ، فالشغل على ما يرام ، وليس لنا اطفال يحتاجون الى النفقة ·

يرما: فعلا ··· ليس لنا اطفال ··· خوان !

خوان: ماذا دهاك ؟

يرما: الست احبك ؟

خوان: انك تحبيننى ·

يرما: اعرف فتيات ارتعدن وبكين قبل ان يذهبن الى فراش ازواجهن · فهل بكيت انا اول مرة ضاجعتك فيها ؟ الم اغن وانا ارفع الملاحف ؟ الم اقل : كم هى طيبة رائحة التفاح ، تلك التى تنبعث من هذه الملاحف ؟

خوان: هذا ما قلته ·

يرما: لقد بكت أمى لانى لم أحزن لفراقها وكان ذلك صحيحا ! انى لا اعرف امرأة ابتهجت بعروسها اكثر منى ··· ومع ذلك ···

خوان: اسكتى . انى لاعانى ما فيه الكفاية من القال والقيل ·

يـــرمـــــا لا . لا تنقل الى ما يصل الى سمعك من الاقاويل ، فانى ارى بعينى ان كل ذلك باطل . ان الغيث يلين الصخر ويجعله ينبت ازهـار الفجل ، تلك التى يقول الناس عنها انها عديمة النفع ، ولكنى أراها جيدا ـ انا ـ زهراته الصفراء ...

خـــــوان يجب الا نيأس .

يـــرمـــــا نعم ، ويجب ايضا ان نريد . (تحتضن يرمـا زوجهـا وتقبلـه) .

خـــــوان ان كنت فى حاجة الى شىء فاخبرينى كـى اتيك به . انت تعلمين انى لا احب ان تخرجى .

يـــرمـــــا ما خرجت قط .

خـــــوان لا ارى لك مكانا اخر افضل من بيتك هذا .

يـــرمـــــا اجـل .

خـــــوان الشارع لمن لا شغل لهم

يـــرمـــــا (كئيبة) صحيح .

(يخرج الزوج . يرما تتجه نحو السلـة وتمـر بيدها على بطنهـا ثم ترفـع ذراعيها فى تثـاؤب جميل وتجلس لتخيط) .

ولدى حبيب القلـب ، من اين المجـى ؟

ـ « اماه ، من قمم الجليد الشـاهقة . »

ولدى ، حبيب القلب ، قل : ما ترتجى ؟

ـ « ان انشق الاثواب فوقك دافئة . »

(تدخـل الخيط فى ثقبـة ابرتهـا .)

ارقصـى يا غصون

فى ضياء النهار

ولتظـل العيون

حولنا فى انفجار

(كما لو كانت تحدث طفلا) .

الجـــرو فى الـــدار ينبـــح
الـــريـــح فى الغـــاب تـــزار
الثـــور فى المـــرج يجـــار
فى شعـــرى البـــدر يسبـــح
فمـــا يبغـــى اذن طفـــلى البعيـــد ؟
(صمت)
ـ « ذرى ثديبك مشرقة اريد • »
ارقصى يا غصون
فى ضياء النهار
ولتظـــل العيون
حولنا فى انفجار
(تخيط)
نعم ، لك سوف اروى يا خروفى
اذا ما انهد جسمى فى سبيلك ،
عن الالـــم الذى سيهـــز جـــوفى •
وجوفى عند خلقك شبـــه مهـــدك
متى يا ابنى اذن ستكون قربى ؟
(صمت)
ـ « متى ما تنضخى بالياسمين • »
ارقصى يا غصون
فى ضياء النهار
ولتظـــل العيون
حولنا فى انفجار
(يرما تغنى • تدخل ماريا من الباب حاملة صرة من الثياب المغسولة) •

يـــرمـــا من اين اقبلت ؟

مـــاريـــا من المتجرة •

يــرمـــا   من المتجرة فى هذه الساعة المبكرة ؟

مــاريـــا   لو طاوعت نفسى لانتظرت قـدام البـاب موعـد الفتح • ايمكنك ان تعـرفى مـا اشتريت ؟ •••

يــرمـــا   اشتريت قهوة لفطور الصباح وسكرا ورقاقا ؟

مــاريـــا   لا • اشتـريت شيئـا مـن الـ (ـدنـتـــال) والنسيج والاشرطة الحريرية والصوف الملون ، وكانت النقود عند زوجى وهو الذى اعطانى اياها بنفسه •

يــرمـــا   هل ستخيطين لنفسك غلالة ؟

مــاريـــا   لا ••• ذلك من اجل ••• افهمت ؟

يــرمـــا   مـاذا ؟

مــاريـــا   من اجل ••• انه وصل ! (تحنى راسها • تقف يرما وتنظر الى ماريا باعجاب •)

يــرمـــا   بعد خمسة اشهـر !

مــاريـــا   نعـم •

يــرمـــا   هل احسست به ؟

مــاريـــا   بالطبـع •

يــرمـــا   (بفضول) بم تحسين ؟

مــاريـــا   لست ادرى ••• اشعر بنوع من الحيرة •••

يــرمـــا   بنوع من الحيرة؟••• (تتعلق بها) ولكن•••متى وصل•••اخبريني•••لم تكوني تفكرين فيه•••

ماريا — كلا ... ما كنت افكر فيه ...

يرما — ربما كنت تغنين ... أليس كذلك ؟... اما انا فـ نى اغنى ... وانت ... اجيبينى ...

ماريا — كيف تريدين ان افسر لك ذلك ؟ اضممت يوما كفك على طير حى ؟

يرما — اجل .

ماريا — حسنا ، ذلك هو نفس الشىء ... ولكن فى هذه الحال كانك تضمين عليه بدمك كله .

يرما — يا للروعة ! ... (تنظر اليها بذهول) .

ماريا — لقد امتلكنى الذهول ... صرت لا اعرف شيئا .

يرما — ما يجب على ان افعله . سأسأل أمى .

ماريا — ما يجب على ان افعله . سأسأل أمى .

يرما — لماذا ؟ انها عجوز ، ولقد نسيت كل ذلك ، عليك الا تمشى كثيرا ، وعندما تتنفسين استنشقى الهواء بلطف كما لو كنت تمسكين وردة بين اسنانك .

ماريا — انصتى . يقال انه فيما بعد يدفعك دفعا لينا برجليه الصغيرتين .

يرما — عندئذ يصير اعز ما لدينا . ونبدا نقول : « ولدى » .

ماريا — هذا لا يمنعنى من ان اشعر بحياء شديد .

يرما — وزوجك ماذا يقول لك ؟

ماريا — لا شىء .

يــرمـــا ايحبك كثيرا ؟

مـــاريـــا انه لا يقول لى ذلك ، ولكنه يقترب منى وعينـاه نرتعشان كانهما ورقتان خضراوان .

يــرمـــا هل كان يعلم ؟

مـــاريـــا نعـم .

يــرمـــا وكيف كان يعلـم ؟

مـــاريـــا لست أدرى ، ولكنه كان يحدثنى عن ذلك طـوال ليلة عرسنا وفمه على خدى حتى صرت اعتقد ان ولدى حمام من الجمر دسه فى اذنى .

يــرمـــا انك سعيدة !

مـــاريـــا ولكنك تعرفين عن هذه الامور اكثر مما اعرف .

يــرمـــا وما فائـــدة ذلك !

مـــاريـــا ولماذا ؟ من بين جميع النساء اللائى تـزوجن فى نفس السنـــة التى تـزوجت انـــت فيهـــا فانـــك الـــوحيدة ...

يــرمـــا هذا صحيح . لكن من الممكن ان يحدث لى ذلك . لقد انتظرت (هلان) ثلاث سنوات ، وانتظـــرت اكثر من ذلك نساء مـــن جيل امى . اما انـــا فقد طال انتظارى ؟ عامان وعشرون يوما . ليس من الانصاف ان احترق فى هذا المكان . عندما يجن الليل كثيرا ما اخرج الى فناء الدار حافية القدمين اطأ التراب دون ان اعرف لذلك سببا . وان ظلت هذه حالتى فسامرض لا محالة .

ماريا هيا عزيزتى ، انك تتكلمين كامراة عجوز · ليس من حقنا ان نشكو هذه الاشياء · ان احدى خالاتى ولدت طفلا بعد انتظار دام اربعة عشر عاما · ليتك رايته ، انه آية فى الجمال ·

يرما (بقلق) ماذا كان يفعل ؟

ماريا كان يبكى كالثور الصغير بنفس القوة التى يغنى بها الف صرصور فى وقت واحد ، وكان يبول على ثيابنا ويجذب آذاننا · وعندما بلغ اربعة شهور كان يخدش وجوهنا وبدميها باظافره ·

يرما (ضاحكة) لكن هذه الاعمال لا تؤلمنا ·

ماريا وزيادة عن ذلك ···

يرما لا تبالغى ! لقد شاهدت اختى ترضع ولدها من ثدييها المقرحين ، وكان ذلك يؤلمها شديد الالم ، ولكنه كان الما منعشا ، الما لذيذا ، الما ضروريا لصحة المرأة ·

ماريا يقال ان الاولاد يسببون لنا اوجاعا كثيرة ·

يرما كذب ! هذا ما تقوله الامهات الضعيفات ، الامهات اللائى يشتكين دائما بغير داع · لماذا يلدن اذن · ان تلد المرأة ليس كان تتقبل باقة من الورود · ينبغى ان نشقى حتى نراهم يكبرون شيئا فشيئا· اعتقد انهم يستنزفون منا النصف من دمائنا ، لكنه شىء لذيذ ، سليم ، رائع · كل امرأة يجرى فى شرايينها من الدم ما يكفى اربعة اطفال او

خمسة • واذا عقمت تحول ذلك الدم الى سم زعاف وهذا ما سيحدث لى •

ماريا لست ادرى ما بى •••

يرما لقد سمعت دائما انه يقال ان المرأة التى تلد بكرها يتملكها الخوف •

ماريا (بخجل) اصغى ... انت التى تجيدين الخياطة ..

يرما (آخذة الصرة) هاتى •• سافصل فستانيز صغيرين • وهذا ؟

ماريا قماط •

يرما حسنا ••• (تجلس) •

ماريا اذن ••• الى اللقاء قريبا •••

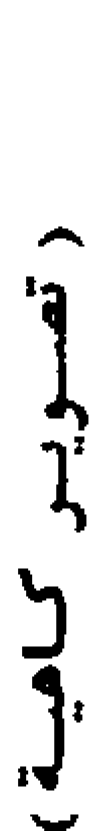
(تقترب من يرما فتمسك هذه بطن ماريا بين يديها بلطف وحنان)

يرما لا تجرى فى المسالك الوعرة •

ماريا وداعا ••• (تقبلها وتخرج)

يرما عودى سريعا • (تعود يرما الى الوضع الذى كانت عليه فى اول المشهد • تشرع فى تفصيل القماش بالمقص ، يدخل فيكتور) اهلا فيكتور •

فيكتور (تبدو عليه علامات التفكير والحزم) اين خوان ؟



(تصوير كاهية)

يــرمــا : عندئذ يصير أعز ما لدينا ،
ونبدأ نقول : « ولدى » !..

(**الفصل الاول** ـ اللوحة الأولى)



(تصوير كامية)

يــرمــا : (تنهض وتقترب من فيكتور) هنا ، على خدك ... كأنه أثر حرق .

(الفصل الأول ـ اللوحة الثانية)

يــرمــا — في حقولـه ·

فيكتــور — ماذا تخيطين ؟

يــرمــا — اخيط قماطـا ·

فيكتــور — (مبتسما) حسنا !

يــرمــا — سأحشيه بالـ (ـدنتـال) ·

فيكتــور — ان كان المولود بنتا فسميها باسمك ·

يــرمــا — (مرتجفة) كيف ؟

فيكتــور — انى سعيد من اجلك ·

يــرمــا — (تكاد تختنق) ليس هذا لى انا ، انه للولد الذى تنتظره ماريا ·

فيكتــور — لقد اعطتك مثالا يحتــذى ، فهذه الـدار يعـوزها صغير ·

يــرمــا — (فى قلق شديد) نعم ، يعوزها صغير ·

فيكتــور — تشجعى ! قولى لزوجك ان يقلل من التفكير فى الشغل · هـو يحب المـال وسـوف يجمـع منه الكثير ، ولكن لمن سيتركه عند ما يدركه الموت . اننى ذاهب بنعاجى ·
قـولى لخــوان ان يحتفـظ بالنعجتين اللتين اشتراهما منى · اما فى شان ما يشغلك فليضمك زوجك اليه بقوة وعنف !

يــرمــا — (بحرارة) هو ما قلت ··· فليضمنى اليه بقوة وعنف ·

نعم لك سوف اروى يـا خـروفي
اذا مـا انهـد جسمي في سبيلـك
عن الألـم الـذى سيهـز جـوفي
وجوفي عند خلقك شبـه مهـدك
متى يا ابنى اذن ستكون قـربى ؟

ـ « متى ما تنضخي بالياسمين »

(تنهض يرما مشغولة البال . تتجـه الى المكان الذى كان قد وقف فيه فيكتور وتتنفس طويلا ، كما لو كانت تستنشق هواء الجبال . ثم تنتقل الى الجانب المقابل من الحجرة كما لو كانت تبحث عن شيء .

تعود بعد ذلك الى كرسيها وتجلس ثم تستانـف عملهـا . تشرع فى الخياطة وتبقى شاخصة النظر شاردة الفكر) .

اللـــوحـة الثـــانيــة

الـريف ـ تأتى يرمـا وبيدها سلـة ـ تدخل العجـوز الاولى

يـــرمـــا صباح الخير

العجـــوز 1 صباح الخير ايتها الحسناء ! الى اين ؟

يـــرمـــا لقد حملت منذ لحظة طعاما لزوجى · انه يشتغل فى غابة الزيتون ·

العجـــوز 1 هل تزوجت منذ مدة طويلة ؟

يـــرمـــا منذ ثلاثة اعـوام ·

العجـــوز 1 هل لك اولاد ؟

يـــرمـــا لا ·

العجـــوز 1 سوف تلدين كثيرا ·

يـــرمـــا (بقلق)او تظنين ؟

العجـــوز 1 ولم لا ؟ (تجلس) انا ايضـا حملت منذ لحظـة طعاما لرجلى · انه عجوز ولكنه ما زال يشتغل · لى تسعة ابناء يشبهون تسع شموس ، ولكن ليس لى بنات · لذا ترينني مضطرة الى ان اسعى هنـا وهناك وان أفعل كل شىء بنفسى ·

يـــرمـــا اتسكنين ضفة النهر الاخرى ؟

العجـــوز 1 نعم قرب الطواحين · ابنة من انت ؟

يـــرمــــا ابنة (هانرى) الراعى

العجــوز 1 آه ! لقد عرفته ، اصل طيب • انه من طينة اولئك الذين ينهضون فجرا،ويعرقون كدا،وياكلون خبزا يابسا ثم يموتون • لا ترفيه ولا شيء ••• الاعياد للآخرين• انه من القون الصامتين• كان فى امكانى ان اتزوج احد اعمامك • لكن كفى حديثا ! كنت فى شبابى خفيفة طائشة • كم من مرة فتحت بابى فى وضح الصبح لانى كنت اتخيل الحان قيثـارة تتردد على مسمعى ، لكـن ذلـك كـان همسـات النسيم (تضحك) ستسخرين منى • لقد تزوجت رجلين وولدت اربعة عشر ولدا مات منهم خمسة ولست حزينة رغم ذلك ، وما زلت اريد ان اعيش طويلا • هذه قولتى •

ما اطول ما يعمـر التين • وما اطول ما تعمـر الديار • اما نحن ــ النساء الابالسة ــ فان ادنى شيء يسحقنا سحقا !

يـــرمــــا اود ان اطلب اليك شيئا •

العجــوز 1 ماذا (تحدق فيها) اعلم ما تريدين ان تقوليه • لا يمكن ان نتحدث في كل هذا • (تنهض)

يـــرمــــا (تمسك بها) لم لا ؟ حديثك لى جعلنى اثق بك • لطالما رغبت فى محادثة امراة كبيـرة السن لانى أريد ان اعلم • نعم ، انك ستخبريننى •

العجــوز 1 بمـاذا ؟

يـــرمــــا (خافضة صوتها) بما تعلمين• لماذا لم آلد ولدا ؟

حياتى هذه الزاخرة المتدفقة ، الا يجب ان استغلها الا فى تربية الدواجن وتزيين نوافذى بالستائـر المسبلة ؟ كلا ! اشيرى على بما ينبغى ان افعل ، وساطيعك ولو امرتنى ان اغـرز ابـرا فى سواد عينى ٠

العجـوز 1 انا ؟ لست اعرف شيئا عن ذلك ٠ لقد استلقيت على ظهرى وجعلت اغنى فانساب الاولاد كالماء ٠ آه ! من يجـرؤ ان يقـول ان جسـدك هذا ليس شهيا ؟ تخطين خطوة واذا بالحصان يصهـل فى طرف الطريق ٠ آه ! دعينى يا ابنتى ولا ترغمينى على الكلام ، كل ما افكر فيه لا يليق ان اصرح به٠

يـرمـا لماذا ؟ انا لا اتحدث مع زوجى فى غير هذا ٠

العجـوز 1 اصغى ٠ هل يروقك زوجك ؟

يـرمـا ماذا تقصدين ؟

العجـوز 1 اقصد ٠٠٠ تحبينه ؟ ترغبين ان تكونى معه ؟٠٠٠

يـرمـا لست ادرى ٠

العجـوز 1 الا ترتعشين عندما يقترب منك؟ الا يعتريك شعور بالاسترخاء حين يدنو منك بشفتيه ؟ اجيبينى ...

يـرمـا كلا ٠ ما شعرت بهذا قط ٠

العجـوز 1 ما شعرت بهذا قط ؟ حتى متى ترقصين ؟

يـرمـا (تتذكر) ربما ٠٠٠ مرة ٠٠٠ مع فيكتور ٠٠٠

العجوز 1 واصلي حديثك ...

يرما اخذني من خصري ولم اقدر ان اقول له شيئا لاني كنت عاجزة عن الكلام · واحسست بذلك مرة اخرى عندما بلغت الرابعة عشرة من عمرى · فقد طوقني فيكتور بذراعيه ليقطع بي جدولا ، فجعلت ارتعش حتى اصطكت اسناني · والحق انني كنت دائما شديدة الخجل ·

العجوز 1 ومع زوجك؟

يرما مع زوجي ، المسالة اخرى · ابي اعطاني اياه فاخذته ··· فرحة ··· هذه هي الحقيقة الخالصة . ففي نفس اليوم الذى تعاقدنا فيه على الزواج فكرت ··· في الاولاد · وكنت اتراءى في عينيه ، نعم ، ولكن لارى نفسي ، صغيرة صاغرة كما لو كنت انا الطفلة التي اتمناها ·

العجوز 1 اما فيما يخصني فالامر يختلف ، ولعلك لهذا السبب لم ترزقي الاولاد قبل · الرجال يا ابنتي ، ينبغي ان يقعوا من نفوسنا موقع الرضى ، وان نرغب في ان يفكوا ضفائر شعورنا ، وان ننهل من افواههم · هذه هي الحياة ·

يرما هذا بالنسبة اليك لا بالنسبة الى · انا افكر طويلا وفي اشياء كثيرة · ويقيني ان ولدى سوف يحقق ما غذى احلامي · اسلمت نفسي الى زوجي من اجل هذا الولد ، وما زلت اسلم نفسي لاحصل عليه اخيرا ، ولم اكن في كل ذلك لارضى شهواتي ·

العجـــوز 1 النتيجة : انت فارغة ٠

يـــرمـــا ابدا ٠ لست فارغة ٠ انى امتلىء حقدا ٠ اخبرينى هل انا مخطئة ؟ اينبغى للمرأة الا تبحث فى زوجها الا عن الفحل ٠ فيم تفكرين عندمـا يعرض عنك زوجك فى الفراش وانت ترمقين السقف بعينيك الحزينتين بينما يوليك ظهره وينام ٠ امن واجبى ان افكر فى زوجى ام فى الكائن الرائع الذى يمكن ان ينشأ فى احشائى ٠ لست ادرى ٠ قـولى ، اشفقى على ٠٠٠ (تجثو على ركبتيها) ٠

العجـــوز 1 آه ! يالها من زهرة يانعة ! يالك مـن مخلوقـة فاتنة ! دعينى ، كفى عنى ولا ترغمينى على الكلام فلست اريـد ان امضى فى الحـديث ٠ كل هـذا قضية شرف ، ولا اريد ان الوث عـرض احـد ٠ ابحثى بنفسك ٠ الافضل ان تكونى اقل بـراءة على كل حال ٠

يـــرمـــا (حزينة) الابواب موصدة فى وجه الفتيات اللائى نشان مثلى فى الريف ٠ كيف اعرف ؟ ما الكـل سوى اوهام وغمزات خادعة ... انت ايضا تلازمين الصمت ، ثم تنصرفين فى هيئة السيدة الوقور ٠ انت تعلمين كل شىء ، ولكنك تخفين كل شىء عن التى تموت عطشا ٠

العجـــوز 1 سوف لا اخاطب الا امرأة مدركة ، اما انت فلا ٠ انى طاعنة فى السن واعرف ما اقول ٠

يـــرمـــا اذن ٠٠٠ استودعك الله ٠

العجــوز 1 الله ؟ لا • ان الله لم يـرقني قط ، انـا • متى تفهمين انه ليس موجودا ؟ الرجال وحدهم قادرون على ان يوفروا لك ما تنتظرينه •

يــرمـــا لماذا تقولين لي هذا ؟ لماذا ؟

العجــوز 1 (وهي تنصرف) من المفيد ان يكون هنا رب ـ ولو كان ربا صغيرا ـ رب ينزل الصـواعق على الرجـال الذين تعفنت بـذورهم فلطخـوا فـرح الارياف وحلا •

يــرمـــا لست افهم ما تعنين •

العجــوز 1 افهم نفسي ، انا • دعي عنك الحـزن ، وتعلقي وثيقـا بالامـل • ما زلت في مقتبـل العمـر •

ماذا تريدين مني ان افعل •
(تخرج • تأتي امرأتان شابتان)

المــرأة 1 لاقينا اناسا كثيرين •

يــرمـــا الرجال يشتغلون في غـابة الزيـاتين ويجب ان نحمل اليهم طعاما • الشيوخ وحـدهم يلازمـون الديار •

المــرأة 2 انت عائدة الى القرية ؟

يــرمـــا اني سائرة في هذا الطريق •

المــرأة 1 ينبغي ان اسرع ، لقد تركت طفلي نائما وما في الدار من احد •

يــرمـــا اسرعـي يا اختـي • لا يجـب ان نخلي الصغـار

وحدهم ... ارجو الا يكون عندك خنازير ؟

المرأة 1 لا . لكن الحق معك ، انى عائدة فى الحال .

يرما عجلى فما ايسر ما يحدث حادث ! ارجو ان تكونى قد احكمت تغليق الباب .

المرأة 1 طبعا .

يرما حسنا . لكن يظهر انك لا تدركين جيدا ما يهدد الطفل الصغير . امر تافه قد يقتله ، ابرة دقيقة او جرعة من الماء .

المرأة 1 أنت على حق ... ها انا اركض . صحيح انى لا ادرك .

يرما اجرى .

المرأة 2 لو كان لك اربعة او خمسة لقلت غير هذا الكلام .

يرما لماذا ؟ انى اقول نفس هذا الكلام حتى لو كان عندى اربعون .

المرأة 2 على كل حال انه من المريح الا يكون لنا اولاد . الا نعيش هانئتين انا وانت ؟

يرما انا ، كلا

المرأة 2 اما انا فنعم . لا شىء يشغل بالى . لكن امى تلقمنى الوانا والوانا من الاعشاب والحشائش كى احبل . سنخرج الى الحج فى شهر اكتوبر لنبتهل الى القديس ، ويقال ان هذا القديس يبارك اللائى يصلين صلاة حارة فيحملن . امى هى التى ستصلى اما انا فلا .

يـــرمـــا لماذا تزوجت اذن ؟

المـــرأة 2 لانهم زوجونى • الفتيات كلهن لابد ان يتزوجن ، وان استمرت الامور هكذا فلن يبقى الا الصغيرات بدون زوج • حسنا ، ثم اننا ••• فى الواقـع نتزوج قبل ان نذهب الى الكنيسة بمدة طويلة • ولكن العجائز يتدخلن فى شؤوننا بأفكار ليست افكارنا • انا فى التاسعة عشرة مـن عمـرى ولا احب الطهى ولا غسل الثياب ، انك ترييننى كامل يومى اجهد فى عمل ابغضه • لمـاذا ؟ ما حاجـة زوجى الى ان يكون زوجا لى ؟ لقد كنا قبل عرسنا نفعل كل ما نفعله الآن • خرف شيوخ !

يـــرمـــا اسكتى • لا تتكلمى هكذا •

المـــرأة 2 انت ايضا ستصفيننى بالجنون • انا مجنونـة ! مجنونة ! (تضحك) استطيع ان اقول ما اعرفه عـن الحيـاة : النســاء جميعهـن سجينـات فى ديارهن يقمن باعمال تملا نفوسهن ضجرا • مـا اشد انشراحى عندما اكون فى الشارع خـارج الدار ! اننى أجرى نحـو النهـر ، ثم اصعد الى الكنيسة ادق النواقيس ، ثم اشرب قدحا من الخمر المنعش •••

يـــرمـــا انت طفلة صغيرة •

المـــرأة 2 صحيح ، ولكننى لست مجنونـة • (تضحك) •

يـــرمـــا امك تسكن اعلى القرية ؟

المـــرأة 2 نعم •

يــرمـــا في طرف القرية ؟

المــرأة 2 نعــم ٠

يــرمـــا ما اســم امــك ؟

المــرأة 2 دولريس ٠ لماذا ؟

يــرمـــا لا لشــىء ٠

المــرأة 2 لا بد أن لك حاجة ٠٠٠

يــرمـــا لست ادرى ٠ قيل لى ان ٠٠٠

المــرأة 2 امر يخصك ٠ طيب ٠ ساحمل الى زوجى طعامــه (تضحــك) واحسرتــاه ! كنــت اود ان اقــول « خطبى » أليس كذلك ؟ (تضحــك) المجنــونة تنصرف ٠٠٠ (تمضى ضاحكة جذلى) وداعــا ٠

(صوت فيكتور يغنى)

ايهــا الــراعى لماذا تنزوى عند المنــام ؟
ايهــا الــراعى لماذا تنزوى عند المنــام ؟
خــذ غطــائى وافتــرشه
واصــب نومــا لــذيــذا
ايهــا الــراعى لماذا تنزوى عند المنــام ؟

يــرمـــا (تنصت)

ايهــا الــراعى لماذا تنزوى عند المنــام ؟
خــذ غطــائى وافتــرشه
واصــب نومــا لــذيــذا
واتخذ فى الصخر غــارك
أيهــا الــراعى الــوحيــد

واجعل الثلج دثارك
أيها الراعى الوحيد

ثم حط الخيزرانا
فى الشتا فوق الفراش
ان شوك العفص غطى
ما اختفى تحت الوساده
وصدى صوت العذارى
قد حكى همس المياه
أيها الراعى الوحيد

أيها الراعى الوحيد
ما بغت منك الجبال ؟
يا جبالا قد كساها
عشبها المر الشرير
سوف يسقيك الحماما
شوكك الكث الصغير

(تهم بالخروج فتصطدم بفيكتور داخلا)

فيكتور (بفرح) الى اين يا حسنائى ؟

يرما انت كنت تغنى ؟

فيكتور نعم ، انا

يرما غناؤك عذب . ما سمعتك تغنى قط .

فيكتور قط ؟

يرما صوتك يصدح . لكان حلقك امتلأ ماء متدفقا .

فيكتــــور انا منشرح ٠

يــرمــــا هــو ذاك ٠

فيكتــــور كم انت كئيبــة ٠٠٠

يــرمــــا ليس من طبعى ان اكون كئيبة ، لكن لى اسبابا ٠٠

فيكتــــور وكذلك زوجك ، انه اشد منك حزنا ٠

يــرمــــا هذا صحيح ، لكنه جاف الطبع ٠

فيكتــــور لقد كان هكذا دائما ٠ (صمت ٠ تجلس يرمـا) كنت تحملين اليه طعامه ؟

يــرمــــا نعم (تنظر اليه ـ صمت) مـا هـذا الاثـر على وجهك ؟ (تشير الى وجهه ٠)

فيكتــــور ايــن ؟

يــرمــــا (تنهض وتقترب من فيكتور) هنا على خدك ٠٠٠ كأنه اثـر حرق ٠

فيكتــــور شــئ تافــه ٠

يــرمــــا كان قد بــدا لى ٠٠٠

فيكتــــور لابد انها الشمس ٠

يــرمــــا بــدون شــك ٠

(صمت يثقل شيئا فشيئا ٠ ينشا صراع بدون ادنى حركة بين الشخصين)

يــرمــــا اتسمــع ؟

فيكتـــور ماذا ؟

يـــرمـــا الا تسمـع بكـاء ؟

فيكتـــور (منصتا) كـلا ٠

يـــرمـــا كان يخيل الى ان طفلا يبكى ٠

فيكتـــور حقـا ؟

يـــرمـــا بالقرب من هنا ٠ لكأنه شهيق مختنق ٠

فيكتـــور هناك دائما اطفال ياتون ليسرقوا ثمارا ٠

يـــرمـــا ليس ذلك ٠ انه صوت رضيع ٠ (صمت)

فيكتـــور لا اسمع شيئا ٠

يـــرمـــا لا شك انه وهـم ٠

(تحدق فيه ٠ فيكتور ينظر اليهـا ، ثـم يحـول بصره شيئا فشيئا فى شبه خوف٠ يدخل خوان)

خـــوان ما زلت هنا ؟ ماذا تفعلين ؟

يـــرمـــا كنت اتحـدث ٠

فيكتـــور مع السلامـة ٠٠٠ (يخرج)

خـــوان كان عليك ان تكونى فى الدار ٠

يـــرمـــا لقد تمشيت قليلا

خـــوان فيم قضيت وقتك ؟

يـــرمـــا اصغيت الى تغريد الطيور ٠

خــــوان حسنا جدا • هكذا تعرضين نفسك للاقاويل •

يــرمـــا (بحدة)فيــم تفكر ؟

خــــوان لا اقول هذا شكا فيك ، بل من اجل الناس •

يــرمـــا الناس ؟ عليهم لعنة الشياطين !

خــــوان لا تلعنى • لا يجوز للمرأة ان تتفوه بهذا •

يــرمـــا ليتنى كنت امرأة •

خــــوان كفى هراء • عودى الى الدار (صمت) •

يــرمـــا حسنا • ايجب ان انتظرك ؟

خــــوان لا • ساسقى الحقل طول الليــل • المـاء قليل ، والليلة دورى الى مطلع الفجر ، ثـم لا بـد لى ان احفظه من اللصوص • اما انت فاذهبى الى المنزل وارقــدى •

يــرمـــا (كالمفجوعة) سارقد • (تخرج)

ستـــار

الفصل الثانى

اللــــوحــة الاولــــى

تسمع اغان من وراء الستار . جمع من نســاء القــرية يغسلن ثيابا على ضفة جـدول . تكون مواضعهن على شكل خط متدرج من اسفل الى اعلى .

اغنيـــــة

فى الجدول المجلود
انظـف الوشاحـا
فى ضحكك الورود
اريجهـا قد فاحـا

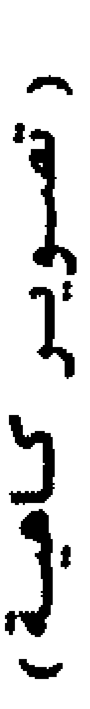
الغسالـة 1 انا لا اريد ان اتحدث عن الناس .

الغسالـة 2 لكننا هنا نتحدث .

الغسالـة 4 اننا لا نفعل شــرا .

الغسالـة 5 من كانت تريد ان يكون عرضها نظيفـا فعليها ان تسلك سلوكا حسنا .

الغسالـة 4 (تغنى)
ما كنت قــد زرعتــه من صعتــر
إنــى اراه اليــوم ينمــو يــانعـا
من رام بين الناس ذكــرا ناصعـا
فليبــق دومـا ذا سلـــوك نيــر (يضحكن)



يــرمـــا : (تتذكر) ربما ·· مرة ·· مع فيكتور ··

العجوز 1 : واصلي حديثك ···

يــرمـــا : أخذني من خصري ولم أقدر أن أقول له شيئا لأني كنت عاجزة عن الكــلام ···

(الفصل الأول ـ اللوحة الثانية)



(تصوير كاهية)

خوان : ما زلت هنا ؟ ماذا تفعلين ؟
يرما : كنت أتحدث .
فيكتور : مع السلامة ...
(الفصل الأول ـ اللوحة الثانية)

الغسالـة 5 كلام جميل •

الغسالـة 1 لا نعرف شيئا يشين عرضها •

الغسالـة 4 نعرف على كل حـال ان زوجهـا استقـدم اختيه وستسكنان عنده •

الغسالـة 3 العانسان الاثنتـان ؟

الغسالـة 4 نعم • كانتا تحرسان الكنيسة ، والان ستحرسان زوجة اخيهما • انا ما كنت اتحمل العيش معهما •

الغسالـة 1 لمـاذا ؟

الغسالـة 4 انهما تنزلان الرعب في قلبي • لكأنهما ورقـات كبيرة يابسة تنبت فجاة على القبـور • ورقـات طليت بالشمع وتقلصت • لابـد انهما تطهيـان بزيت المصابيح •

الغسالـة 3 او قـد وصلتـا ؟

الغسالـة 4 وصلتا البارحة وعاد الزوج يتردد على حقولـه •

الغسالـة 1 هل يمكن ان نعرف ما حدث ؟

الغسالـة 5 البارحة الاولى رغم البرد قضت ليلتها جالسة على الصخرة بباب دارها •

الغسالـة 1 لكن لماذا ؟

الغسالـة 4 لم تعد تحتمل البقاء في بيتها •

الغسالـة 5 هذا داب العواقر • عوض ان يتفـرغن للخيـاطة

او اعداد انواع معجون الثمار يخطـر ببالهن ان يتجولن على السطوح او ان يمشين حافيات الاقدام في النهر ٠

الغسالـة 1 باى حق تتكلمين هكذا ؟ ليس لها ولـد ، لكـن الذنب ليس ذنبها ٠

الغسالـة 4 من ارادت اولادا كان لهـا اولاد ٠ لكـن النسـاء المترفقات المتكاسـلات المتصنعـات يـرفضن ان يعرضن جلد بطونهن للانكماش ٠

الغسالـة 3 ويطلين وجوههن بالمسـاحيق البيضـاء والحمـراء ويشددن الى صدورهن باقـة من زهـور الدفـلاء ليستملن رجالا غير ازواجهن ٠

الغسالـة 5 هذه هى الحقيقة ٠

الغسالـة 1 ارايتهـا ـ انت ـ مـع رجـل آخر ؟

الغسالـة 4 لم نرها نحن ، لكن رآها الناس ٠

الغسالـة 1 دائمـا الناس !

الغسالـة 5 يقولون انهم شاهدوها مرتين ٠

الغسالـة 2 ماذا كانا يفعـلان ؟

الغسالـة 4 كانا يتحدثـان

الغسالـة 1 الحديث ليس حراما ٠

الغسالـة 4 هناك شيء فى الدنيا لا شك فى معناه : النظرة ٠ هذا ما كانت تقوله امى ، فالمرأة لا تنظر الى وردة

كما تنظر الى فخذى رجل · وهى كانت تنظر الى رجــل ·

الغسالــة 1 الى من كانت تنظــر ؟

الغسالــة 4 الى احدهم · اتفهمين مــن اعنى ؟ استخبــرى ، اتريدين ان ازيد فى رفع صوتى (ضحك) ثــم لو فرضنا انها لا تنظر اليه لانها وحدها او لانــه ليس معها ، فان صورته ماثلة امام عينيها ·

الغسالــة 1 كذب واختلاق ! (ضجيج)

الغسالــة 5 والــزوج ؟

الغسالــة 3 الــزوج كالاصـــم ، جامــد كالضب فى الشمس (ضحــك)

الغسالــة 1 لو كان لهما اولاد لساد الوئام بينهما ·

الغسالــة 2 كل ذلك شنشنة اناس لا يستسلمون لما كتب لهم

الغسالــة 4 هذه الدار تتحول الى جحيم من ساعة الى ساعة · هى والعانسان يبيضن الجدران كامل اليوم دون ان تنفرج لهن شفة ، ويفركن نحــاس الاوانــى وينفخن على زجــاج النوافــذ لتنظيفهــا ويصببن الزيت على النــار ، وكلما ازدادت الــدار لمعانــا ازداد جحيمها التهابا ·

الغسالــة 1 الذنب ذنبه فالرجل الذى لا يهب زوجته ولــدا وجب عليه ان يحرسها ·

الغسالــة 4 بل ذنبها · ان لسانها يجر الحصى ·

الغسالـة 1 اى شيطان عشش فى شعـرك حتى تجـرئى على هـذا الكـلام ؟

الغسالـة 4 وانت من سمح لك بان تنصحينى ؟

الغسالـة 2 كفـى !

الغسالـة 1 اود ان انقب الالسن النتنة بابرة غليظة ٠

الغسالـة 2 اسكتـى !

الغسالـة 4 وانا اود ان اطعن صدور المنافقين ٠

الغسالـة 2 يكفي٠ الا تريان ان العانسين مقبلتان ؟ (همهمة٠ تدخل العـانسان لابستين الحـداد ، تشرعـان فى الغسل بصمت ٠ يسمع صوت جلاجل) ٠

الغسالـة 1 احان موعد انصراف الرعاة بعد ؟

الغسالـة 4 (وهى تستنشق الهواء) كم احب رائحة النعاج !

الغسالـة 3 كيف ؟

الغسالـة 4 ولم لا ؟ انى احب رائحة ما نملك كما احب رائحة الطين الاحمر الذى يطويه النهر فى الشتاء ٠

الغسالـة 3 شهوات تافهة عابرة ٠

الغسالـة 5 (وهى تنظر) كل القطعان تمضى معا ٠

الغسالـة 4 انه سيل من الصوف ٠ القطعان تجر كـل شىء وراءها ، ولو كان لسنابل القمح الخضراء رؤوس لارتعشت خوفا لرؤيتها مقبلة ٠

الغسالـة 3 انظريها تجرى ! لكأنها جيوش من الاعداء !

الغسالـة 1 مضت القطعان كلها ولم يبق منها واحد ٠

الغسالة 4 حقا .. لا .. بل ينقصها قطيع

الغسالة 5 قطيع من ؟

الغسالة 4 قطيع فيكتور .

(تنهض العانسان وتنظران)

الغسالة 4 في الجدول المجلود
انظف الوشاحا
في ضحكك الورود
اريجها قد فاحا

في سيل ثلج هاطل
من لي يعيش دائم !

الغسالة 1 واها لتلك العاقر
ذات النهود المجدبه

الغسالة 5 قولى لنا : هل زوجها
يحوى بذورا خصبة
حتى ترى في ثوبها
ماء زلالا دافقا ؟

الغسالة 4 كالمركب المفضض
أو كالنسيم المنعش
ألفيت جلباب الصبى

الغسالة 1 إنى قصدت النهر ابغى ماءه
حتى انظف للوليد ثيابه
فاذا بماء النهر فى منسابه
قد لاح كالبلور فى لمعانه

الغسالـه 2 أمـا أنـا فـأرى على قمـم الـربى
زوجي يهرول كـي يصيب طعـامه
واذا سعى نحوى بزهر فى المسـا
فـلأن وردات تجـازى سعيـه

الغسالـة 5 ومن السهـول الخصبـة المتـرامية
سيعود زوجي كي يصيب عشـاءه
فيمـد لى جمـراتـه المتـوقـدة
فألفهـا بيـن الغصـون المـورقـه

الغسالـة 4 وأنا أشاهد فى العشيـة من هنـا
زوجى الحبيب الى يجـرى مسرعـا
حتـى ينـام عـلى ورودى وادعـا
كالـزهـرة الحمـراء فى بستـاننا

الغسالـة 1 ومتى م تستنـزف دمـاء الحـاصد
لا بد أن يتعـانق الـزهر النـدى

الغسالـة 4 ومتى م يقرع بابنـا بـرد الشتـا
لا بد أن يقضى على طيـر الـدجى

الغسالـة 1 لا بـد تحـت لحـافنـا أن نـألمـا

الغسالـة 4 لا بـد يـا أختـاه أن نتـرنمـا

الغسالـة 5 ولنبتهـج إذ مـا يضـع أزواجنـا
خبـزا وتـاجـا زاهيـا فى كفنـا

الغسالـة 4 أحضاننـا للضـم قـد خلقت لنـا

الغسالـة 2 نـور النهـار بـه تغص حلوقنـا

الغسالـة 4 الـدوح فى الغابـات لان قضيبـه

الغسالـة 1 حيم النسيم كست جبـال بلادنـا

الغسالـة 4 فلينجـل الصبـح الجـديد بحينـا
عن بسمة الطفل الرضيـع ببيتنـا

الغسالـة 1 فى بطننـا المرجـان ينبت عـرقه
صلبـا نشيطـا زاهيـا متـدفقـا

الغسالـة 4 ولـذا يكـون بـأرضنـا بحـارة
تنشـق امـواج البحـار أمـامهـم

الغسالـة 1 طفـل صغيـر كـم أحب بهـاءه !

الغسالـة 2 الطفـل كالورقـاء رف جنـاحهـا
وامتـد يلتقط النـوى منقـارهـا

الغسالـة 3 يبكى الوليد ، وكم أحب صياحه !

الغسالـة 4 من اجل صبيتنـا نـرى أزواجنـا
فى حقلهـم يتقـدمـون كـأنهـم
سرب من الاوعـال لطخهـا الـدم

الغسالـة 5 بشرى لنا ، بشرى لنا بصغارنـا
ما أروع الريح اللطيفـة عنـد مـا
فى جونا الصـافى تهـز ثيـابهم !

الغسالـة 2 مـرحى بسـرات الصغـار فانهـا
تحـوى أعـاجيب الحيـاة جميعهـا

الغسالـة 1 واهـا لتلـك العـاقـر
ذات النـهـود المـجـديه

الغسالـة 3 ربـى ، ليسطـع وجههـا !

الغسالـة 4 ولتنطلـــق فـــى سيـــــرهـــــا !

الغسالـة 5 ولتبـــق دومـــا ســـاطعـــه !

الغسالـة 1 وليـــرتفـــع غنـــاؤهـــا !

الغسالـة 2 ولتختـــف فـــى بيتهـــا !

الغسالـة 1 ولتبـــق دومـــا شـــاديـــه !

الغسالـة 4 ولدى ، صـــدارك بعد مـــا نظفتـــه
صار الضيـــاء يشـــع منـــه كأنمـــا
ولـــدت صباحـــا باسمـــا أعطـــافه

الغسالـة 2 (معهن جميعا في جـــوق واحـــد)
فـــى الجـــدول المجلـــود
أنـــظـــف الـــوشـــاحـــا
فـــى ضحكـــك الـــورود
أريجهـــا قـــد فـــاحـــا

آه . . . آه . . . آه . . .

(يلوحن بالثياب ويضربنها بعصيهن ضربا موقعا)

اللـــوحــة الثـــانيــة

بيت يرما • يخيم الليل • خوان
جالس ، بينما اختاه جالستان•

خـــــوان تقولين انها خـرجت منـذ حين ؟ (تجيب الاخت الكبرى براسها ان نعم) لا بد انها ذهبت الى العين، لكنكما تعلمان اننى لا احب ان تخـرج وحدها • (صمت) تستطيعين ان تعدى المـائدة • (تخرج الاخت الصغرى) لقد اكتسبت الخبز الذى اكلـه بكد يمنى • (مخاطبا اخته) امس كان النهـار قاسيـا ، انى شـذبت اشجـار التفـاح ، وعنـد الغروب تساءلت : لمـاذا اكـد واجهـد وليس فى امكانى ان اتناول تفاحة واحـدة • لقـد تعبت • (يمر بيده على وجهه • صمت •) وتلك المـرأة التى لـم تعـد • كان مـن واجب احـداكما أن تصحبها • انتما من اجل هذا تقيمان هنا ، وتاكلان على مائدتى ، وتشربان من خمـرى • حيـاتى فى الحقول ، اما شرفى فهو هنـا ، وشرفى شرفكما (تحنى الاخت راسها) • لا تغضبى من كـلامى هذا • (تدخل يرما وهى تحمل جرتين • تبقى بالباب) جئت من العين ؟

يـــرمـــا نعم • ليكون لنا ماء بارد وقت العشـاء (تدخـل الاخت الثانية) كيف حال الحقول ؟

خـــــوان لقد شذبت الاشجار امس •
(تضع يرما الجرتين ، صمت •)

يـــرمـــا اتنوى البقـاء ؟

خـوان على ان اعتنى بالمواشى · انت تعلمين ان هذا عمل سيد الاسرة ·

يـرمـا اعلم هذا جيدا · لست فى حاجة الى اعادة هـذا الكلام ·

خـوان كل رجل له حياته ·

يـرمـا وكل امـرأة لها حياتهـا ايضا · لم اطلب منك ان تبقى · هنا عندى كل ما احتاج اليه ، واختـاك تحسنان حراستى ، ثم انى آكـل خبـزا طريـا وجبنا ابيض وخروفا مشويا · واغنامك فى الجبل ترعى عشبا بلله النـدى · هكـذا اعتقـد انـك تستطيع ان تعيش عيشة راضية ·

خـوان كـى يكون العيش راضيـا يجب ان يكون المـرء هانئـا ·

يـرمـا او لست هانئا ؟

خـوان لا !

يـرمـا فكر فى شىء آخر ·

خـوان الا تعرفيننى ؟ النعاج فى الحظيرة ، والنساء فى الدار · لقد اكثرت من الخروج ، اما سمعتنى اردد ذلك مرارا وتكرارا ؟

يـرمـا صحيح · المراة فى الدار على شرط الا تكون الدار قبرا ، وان تستعمل الكراسى فتتحطم ، والملاحف فتتمزق · وهذا ما لم يحدث هنا · كل ليلة عند

النوم اجد فراشى اشد جدة واكثر اشراقـا كما لوجىء به من السوق منذ حين ·

خـــوان تعرفين بنفسك اننى على حـق عنـدما اتـذمر ، فهناك ما يدعونى الى الحذر ·

يـــرمــا الى الحذر ؟ انا ما أسأت اليك قـط · انـى لـك خاضعة مطيعة ، لكن الآلام تحرق جسدى ، وكل يوم ياتى سيكون اشد على من اليوم الذى يمضى · سنلازم الصمت ، وسأتحمل مصابى ما استطعت لكن لا تسالنى · لو امكن لى ان اصير فجأة امرأة عجوزا ، لو امكن لفمى ان يكون كالزهرة المتخنة لاستطعت ان ابسم لـك ولساد الوئـام بيننا · اما الآن فدعنى وشأنى ·

خـــوان لا افهم ما تقولين ، انى لا احرمك شيئا وارسل الى القرى المجاورة من ياتيك بكل ما يروقك · لى عيوب ولكن اريد ان اعيش معك فى هدوء وسلام ، واحب ان انام هناك فى حقلى وانا اعلم انك حقـا فى بيتك تنامين ·

يـــرمــا ولكنى لا انام ولا استطيع ان انام ·

خـــوان ما ينقصك ؟ قولى ! اجيبى !

يـــرمــا (وهى تحدق فى زوجها) هو ينقصنى · هـو · (صمت)

خـــوان دائما نفس الحكـاية منذ اكثر من خمس سنين ، انى كدت انسى ذلك ·

يـــرمـــــا انا لست انت • للرجال امور اخرى في الحياة • لهم الاغنام والاشجار والاحاديث • امـا نحـن فليس لنا الا الاطفال الصغار •

خــــــوان لكل شعوره • لماذا تتبنين احد اطفال اخيك • انى لا اعارضك فى ذلك •

يـــرمـــــا لا اريد اطفال الاخربن • ذراعـاى تجمدان حـول اجسادهم •

خــــــوان انك في عذابك تعيشين كالمجنونة دون ان تفكرى فيما عليك ان تفعلى • لكانـك تضربين بـراسك صخـرة •

يـــرمـــــا صخرة ! هذه هى الفضيحة ، هو صخرة ما كان ينبغى ان يكون مياها عذبة وسلة مملؤة ازهارا •

خــــــوان لا اجد عندكِ الا الحيرة • عليك ان تستسلمى •

يـــرمـــــا جئت بين هذه الجدران الاربعة لئـلا استسلم • عندما يشدون راسي بمنديل حتى يبقى فمى مغلقا وعندما يشددون القيد على يدى فى نعشى عندها استسلم •

خــــــوان ماذا تريدين ان تفعلى اذن ؟

يـــرمـــــا أريد أن اشرب ماء ، وليس ثمة كاس ولا ماء • أريد ان اتسلق الربوة ولا ارجل لى ، اريـد ان اوشى قميصى ولم اجد لذلك خيطا •

خــــــوان الحقيقة هى انك لست بامرأة وتريدين ان تحطمى رجلا لا ارادة له •

يـــرمــــا لست ادرى من انا · دعنى امضى واقول ما يضيق له صدرى · انى ما تخليت عنك قط ·

خــــوان اكره ان يشير الناس الى ببنانهم · لذا اريـد ان يبقى هذا الباب مغلقا ، وليكن كل انسان فى بيته·

(تدخل الاخت الاولى ببطء وتقترب من خزانة) .

يـــرمــــا التحدث الى الناس ليس خطيئة ·

خــــوان قد يبدو ذلك خطيئة ·

(تدخل الاخت الاخرى وتتجه نحو الجرتين وتملا برادة منهما ·)

خــــوان (وهو يخفض صوته) لا قدرة لى على تحمل ذلك · عندما يخاطبك احد فاخرسى واذكرى انك امرأة متزوجـة ·

يـــرمــــا (بتعجب) متزوجة !

خــــوان للعائلات شرفها ، والشرف عبء من الواجب ان نحمله معا · (تخـرج الاخت ببطء وهى تحمـل البرادة) انه يجرى حالكا فى لونه ، ضعيفا فى تدفقه ، ولكنه قد امتزج بدمنا · (تخرج الاخت الاخرى حاملة صحنا وتمشى كانها فى موكب · (صمت) ارجوك المعذرة (يرما تنظر الى زوجهـا فيرفع راسه ويلتقى بنظرها ·) نظـراتك هـذه تجعلنى اندم على كلمة « المعذرة » · الاجدر بى ان احبسك فى بيتك لانى زوجك ·

(تظهر الاختان بالباب)

يـــرمـــا ارجوك الا تقول شيئا • خل ذلك جانبا •

حـــوان هيا بنا الى العشاء • (تخرج الاختان) الم تسمعي ؟

يـــرمـــا (في منتهى اللطف) كل انت مع اختيك ، اما انا فلست جائعة •

خـــوان كما تشائين • (يخرج)

يـــرمـــا (كالحالمة •)

واها لمزرعتي التي قد اجدبت
وانسدت الابواب دون بهائها !
ربي ! رجائي ان اذوب تالما
من اجل طفل في الحشا يترعرع
لكن ارى ان الفضاء يجودني
دوما بزهر قد جناه من القمر •
لبني السخين الثر يجري دافقا
من منبعين تواريا في اضلعي
وهما بنبضهما القوي العارم
قد اذكيا لهب الهموم المضرم
نهدي! في سجن القميص عميتما
فبدوتما كحمامتين اصيبتا
بالضر في بصريهما ، وتشوهت
اشراقة الريش الذي يكسوهما
ودمي السخين احس في نبضاته
وخزا باعلى الظهر يؤلمني كما
لو كان هذا الوخز لسعة زنبره
لكن ستولد يا بني ، ستولد

فالبحر من زمن يجود بملحه
والارض تسخو دائما بثمارها
ان الحياة تشع من ارحامنا
فكانها غيث مغيث ينهمر

(تنظر نحو الباب)
ماريا ! ما بك تمرين سريعا امام بيتى ؟

ماريا (تدخل وهى تحتضن صبيا) انى اسرع دائما عند ما يكون الطفل معى • اعرف ان ذلك يبكيك .

يرما انت على حق ... (تاخذ الطفل وتجلس)

ماريا يحزننى ان اوقظ فيك عوامل الغيرة •

يرما ليس هناك غيرة ، بل بؤس وشقاء •

ماريا لا تتذمرى •

يرما كيف لا اتذمر عندما اراك انت والنساء الاخريات ، اراكن جميعا مليئات بالزهور وارانى وحدى عديمة الفائدة وسط هذا الجمال •

ماريا لكن لك شيئا آخر ، ولو اصغيت الى لاستطعت ان تكونى سعيدة •

يرما البدوية التى ليس لها ولد لا فائدة فيها ، هى كباقة من الشوك • لا يرجى منها الا الشر ، أنا احدى اللواتى تخلى عنهن الاله • (ماريا تهم باسترجاع الطفل) خذيه انه اوفر سعادة عندك • لا شك ان يدى ليستا كايدى الامهات •

ماريا لماذا تقولين هذا ؟

يرما لان صبرى قد نفد ولانى سئمت يدى اللنين لا استطيع ان افنيهما فى شىء هو ملكى · انى اشعر بالاهانة ، نعم بالاهانة · واشعر انى اداس فى اسفل السافلين عندما ارى القمح ينبت ، والعيون لا تنفك تجرى ، والنعاج لا تنفك هى الاخرى تضع مئات الخرفان ، وكذلك الكلاب · البادية كلها تنتصب امامى لتنشر ولاداتها وتتباهى بصغارها الناعمين الحالمين بينما احس بالمطارق تدق هنا ، حيث كان ينبغى لولدى ان يعضنى ·

ماريا اكره ان اسمعك تتحدثين هكذا ·

يرما انتن ـ النساء اللواتى لكن اولاد ـ لا تفكرن فينا نحن العواقر · انكن تبقين يانعات جاهلات · من كان فى الماء العذب سابحا لا يتصور العطش ·

ماريا لا اريد ان اعيد ما قلته لك دائما ·

يرما على مر الايام تزداد رغبتى ويضعف رجائى ·

ماريا يا لها من كارثة !

يرما سينتهى بى الامر الى ان اعتقد انى طفلة نفسى · كثيرا ما اذهب ليلا اقدم العلف الى الثيران وما كنت افعل ذلك من قبل ولا توجد امرأة تقوم بهذا العمل · وعندما امضى فى ظلام السقيفة يسمع لقدمى وقع اقدام الرجل ·

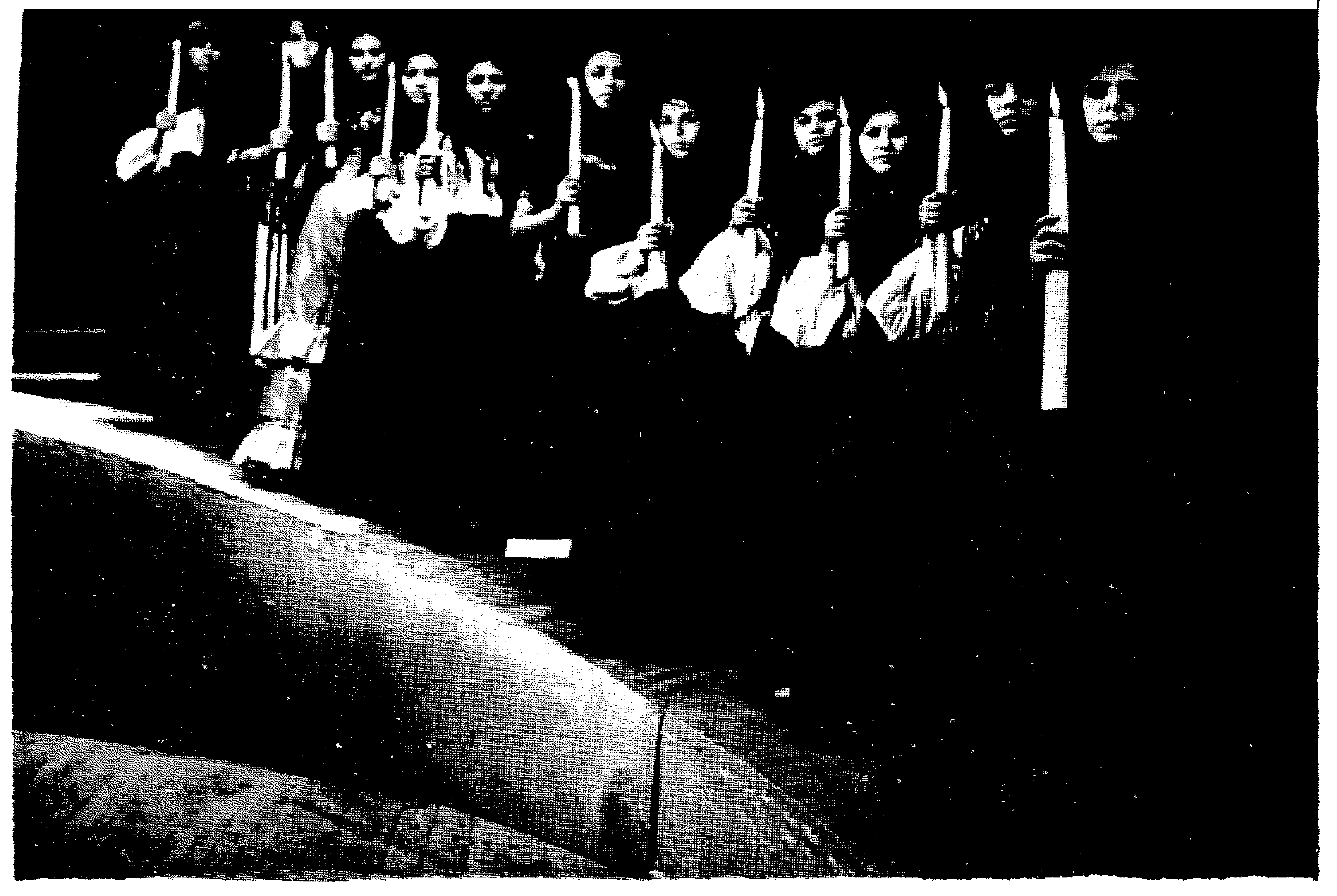
ماريا كل مخلوق له اعذاره ·



(تصوير كاهية)

فيكتــور : تقولين ؟
يــرمــا : قلت : صحة لك وعافية !
فيكتــور : اشكرك .

(الفصل الثانى ـ اللوحة الثانية)



(تصوير كاهية)

جوق النسوة : الاهي ! هب لوردتنا النضاره
ولا تجعل لها عيشا ذليلا
(الفصل الثالث ـ اللوحة الثانية)

يـــرمــــا ورغم كل هذا ما زال يحبنى • ترين كيف اعينى !

مــاريـــا واختا زوجـــك ؟

يـــرمــــا فلامت ولادفن بدون كفـــن ان كنت يوما توجهت اليهما بكلمة •

مــاريـــا وزوجـــك ؟

يـــرمــــا الثلاثة ضدى •

مــاريـــا لكن فيم يفكرون ؟

يـــرمــــا يظنون بى الظنون ، وافكارهم افكار اناس ليست ضمائرهم فى راحة • هم يعتقدون ان رجلا اخـر ربما يروقنى ، ويجهلون ان امرأة من طينتى تضع شرفها فوق كل شىء ولو اعجبهـا رجـل آخر • انهم فى نظرى كالاحجار فى مجرى السيل ، ولكن يجهلون انه فى امكانى اذا اردت ان اكون كالمـاء يجرفهم •
(تدخل احدى الاختين ثم تخرج حـاملة خبزا)

مــاريـــا على كل حال ، اظن ان زوجك ما زال يحبك •

يـــرمــــا زوجى يمنحنى خبزا آكله ، وبيتا آوى اليه •

مــاريـــا ما اشد عذابك ! ما اشد عذابك ! لكن تذكـرى آلام المسيح •

(تنتهيان الى الباب •)

يـــرمــــا (وهى تنظر الى الطفل) ها قد افاق •

مــاريـــا بعد قليل ستسمعينه يغنى •

يـرمـا لـه نفس عينيك ، اكنت تعلميـن ؟ ارأيتهمـا ؟
(تبكى) عيناه تشبهان عينيك •
(تدفع ماريا بلطف فتخرج هذه فى صمت • يرما
تتجه نحو الباب الذى خرج منه زوجها •)

المـرأة 2 بست • • •

يـرمـا (وهى تلتفت) • ماذا ؟

المـرأة 2 كنت ارقب خروجها • ان امى فى انتظارك •

يـرمـا هى وحدها ؟

المـرأة 2 مع جارتين •

يـرمـا اطلبى اليهن ان ينتظرننى لحظة •

المـرأة 2 لكن ستذهبين ؟ الست خائفة ؟

يـرمـا ساذهب •

المـرأة 2 هذا شأنك !

يـرمـا فلينتظرننى ولو تاخرت ! (يدخل فيكتور)

فيكتـور خوان هنا ؟

يـرمـا نعـم •

المـرأة 2 (كما لو كانت تعلم كل شىء) اذن سآتى لـك بالغلالة بعد حين •

يـرمـا متى تشائين (تخرج المرأة) • اجلس •

فيكتــــور افضل الوقوف ٠

يــرمـــا (تنادى ٠) خوان !

فيكتــــور جئت أودع ٠ ٠ ٠
(يرتجف قليلا ، ثم يستعيد هدوءه)

يــرمـــا سترحل مع اخوتك ؟

فيكتــــور هذا ما قرره ابى ٠

يــرمـــا لابد انه قد تقدم فى السن ٠

فيكتــــور نعـم ، كثيرا ٠ (صمت)

يــرمـــا لقد احسنت صنعا بانتقالك الى مرعى آخر ٠

فيكتــــور المراعى كلها متشابهة ٠

يــرمـــا لا ٠ انا كنت ارحل بعيدا بعيدا ٠

فيكتــــور الجهـات كلها واحـدة ، نفس النعـاج لهـا نفس الصوف ٠

يــرمـــا هذا صحيح بالنسبة إلى الرجـال ، ولكن النسـاء على خلافهم٠ ما سمعت قط رجلا يقول وهو ياكل : « ما اطيب هذه التفاحات ٠ » انكم تندفعون نحو هدفكم دون ان تتوقفوا عند الاشياء اللطيفة ٠ اما انا فيمكنني ان اقول انى كرهت مياه الآبار ٠

فيكتــــور ربما ٠٠٠ (ظل لطيف ناعم يكتنف الركح) ٠

يــرمـــا فكيتـور !

فيكتـــور تكلمـي ...

يــرمــا فيم الرحيل ؟ الناس هنا يحبونك كثيرا .

فيكتـــور أظن اني قمت بواجبي قدر المستطاع . (صمت)

يــرمــا نعم ، قمت بواجبك . عندما كنت في العشـرين حملتني مـرة بين ذراعيـك . اتذكـر ذلك ؟ من المستحيل ان نعلم الغيب .

فيكتـــور كل شيء يتغير .

يــرمــا ثمة اشياء تتغير ، ولكن هناك اخرى مخفية وراء الجدران ، لا يمكنها ان تتغير لانه لا يعلمها احد .

فيكتـــور هكذا هي الامـور .

(تدخل الاخت الثانية . تتجه ببطء نحو الباب حيث تبقى جامدة تحت نور آخر النهار .)

يــرمــا ولكن هذه الاشياء ان هي انطلقت فجاة وجعلت تصرخ فانها ستملا الدنيا .

فيكتـــور ما كان هذا ليجدي نفعا ، فالماء يجري في مجراه ، والقطيع في الحظيرة ، والقمر في السماء ، والرجل وراء محراثـه .

يــرمــا والمصيبة اننا كنا لا نقبل تعاليم الشيوخ .

(يسمع نفخ كئيب في ابواق الرعاة)

فيكتـــور إنها القطعان .

خـــوان (داخلا) فى طريق الرحيل بعد ؟

فيكتـــور اريد ان اعبر مراعى الصيف قبل الفجر ·

خـــوان الك ما تشكوه منى ؟

فيكتـــور لا · صفقتى معك كانت رابحة ·

خـــوان (مخاطبا يرما) لقد اشتريت منه قطعانه ·

يـــرمـــا حسنـا ·

فيكتـــور (مخاطبا يرما) هذه القطعان لك ·

يـــرمـــا كنت اجهل ذلك ·

خـــوان (مبتهجا) لقد تمت الصفقة ·

فيكتـــور لقد غصت ضيعة زوجك ·

يـــرمـــا الثمرة تنضج فى كف من يعمـل ومـن يسعـى
(تخرج الاخت التى كانت بالباب)

خـــوان سوف نحتار في ابواء كل هذه النعاج ·

يـــرمـــا (كئيبة) ارض الله واسعة ·

خـــوان ساصحبك حتى الجدول ·

فيكتـــور اتمنى السعادة والهناء لاهل هذا البيت · (يصافح يرمـا)

يـــرمـــا ليسمعك الله وليمنحك الصحة والعافية ! (يهم فيكتور بالخروج ، ثـم يلتفت استجابة لحركـة لا شعورية من يرما)

فيكتــــور معوليــن ؟

يـــرمــــا قلت : صحة لك وعافية !

فيكتــــور اشكــرك ٠

(يخرج فيكتور وخوان٠ تبقى يرما حيرى تنظر الى يدها التى ناولتها فيكتور ثم تتجه سريعــا نحو اليسار وتاخذ وشاحا ٠)

المـــرأة 2 (تغطي لها راسها ٠) هيا بنا ٠

يـــرمــــا هيــا ٠ ٠ ٠

(تتسللان ٠ يكاد الظلام يغمر الركح ٠ تدخــل الاخت الاولى وبيدها مصباح ٠ يقتصر فى انــارة الركح على النور المنبعث منه ٠ تتجــه الى اقصى الركح تبحث عن يرما ٠ تسمع ابواق القطعان .)

الاخـــت 1 (بصوت منخفض) يرما (تدخل الاخت الثانية تتبادلان النظر ثم تتجهان نحو الباب)

الاخـــت 2 (رافعة صوتها ٠) يرمــا

الاخـــت 1 (تقترب من الباب وبلهجة الآمــرة ٠) يرمــا !

(تسمع ابواق الرعاة ومزاميرهم ٠ الـــركح فى ظـــلام ٠)

ستـــــار

الفصل الثالث

اللـــوحـة الاولـــى

منـزل دولـريس السـاحـرة ٠
يلـوح الصبـح ٠ تدخـل يرمـا
ودولريس وتصحبهما عجوزان ٠

دولـــريـس كنت شجاعة ٠

العجـــوز 1 ليست فى الدنيا قوة اعنف من الرغبة ٠
العجـــوز 2 لكن الظـلام كان دامسا فى المقبرة ٠

دولـــريـس لطالما رتلت بالمقبرة هذه الصلوات مع نسوة كن يردن اطفالا ، ولقد استولى الرعب عليهن جميعا ، جميعـا الا انت ٠

يـــرمـــا اتيت لانى اثق بالنجاح وما اظن انك خدعتنى ٠

دولـــريـس فليلتهم النمل لسانى كما يلتهم السنة الامـوات ان كنت كذبت يوما فى حياتى ٠ وآخر مرة رتلت فيها عزائمى كانت من اجل متسولة بقيت عاقرا اكثر منك ، فلان بطنها فولدت طفلين ٠ ولدتهما فى اسفل الربوة على ضفة الـوادى لان المخـاض باغتها بعيدا عن القرية ٠ ولقد اتتنى بهما ـ هى بنفسهـا ـ ملفـوفين فى لحـاف حتى اغسـل جسديهما ٠

يـــرمـــا او استطاعت ان تمشى على قدميهـا من الـوادى الى هنـا ؟

دولـــريـــس لقد اتت . كان الدم يسيل على نعليها وعلى ثيابها ولكن وجهها كان مشرقا .

يـــرمـــا الم ينلها ضرر ؟

دولـــريـــس واي ضرر كان يمكن ان يلحقها ؟ الله هو الله .

يـــرمـــا طبعا الله هو الله . ما كان ليلحقها ضرر سوى ان تحمل وليديها لتغسل جسديهما في الماء الجارى فالحيوانات تلحس صغارها ، اليس كذلك ؟ امـا انا فلن اعيف ولـدى . انى اتصـور ان المـرأة النفساء يشع النور فيها ، فيمكن لطفلها ان ينام على صدرها ساعات وساعـات . انـه ينصت الى هذا النهر من الحليب الذى يملا ثـديي امـه كي يرضع ويلعب الى ان يمـل ذلـك ويتوقـف عـن الرضاعة . عند ذلك تقول امه : « زد قليـلا يـا صغيرى . »
واذا بالثدى ووجه الرضيع يتلطخان بقطرات من الحليب .

دولـــريـــس سيكون لك ولد . هذا ما اؤكده لك .

يـــرمـــا سأرزق ولدا لانه يجب ان يكون لى ولـد ، والا فانني لن افهم شيئا من هـذه الدنيـا . احيانـا اقول في نفسي : لن الد ابدا ، ابـدا ... عنـد ذلك تغمرني من اخمص قدمى الى اعلى راسى موجة عارمة من اللهب . كل شيء يبدو لى خلاء ، فالمارة والحجارة تبدو لى كاشباح من القطن ، وأتسـاءل لماذا وضعت كل هذه الاشياء هنا ؟

العجـــوز 1 من المستحسن ان ترزق المرأة المتزوجة اولادا . ولكن ان لم يكن لها اطفال ففيم رغبتها الجامحة في الولادة . الهام في هذه الحياة هو ان ننفاد للسنين تفعل بنا ما تشاء . وانا لا الومك فلقد امكنك ان ترى اني شاركت في ترتيل العزائم . لكن ما هي هذه الارض الخصبة التي ترجين منحها ولدك ؟ اين هذه السعادة واين هذا المقعد الفضي الذي اعددته له ؟

يـــرمـــا انا لا افكر في الغد بل افكر في اليوم . انك امرأة عجوز ، وكل شيء بالنسبة اليك كتاب قراته ثم طويته . اما انا فاعتقد اني عطشى لا حرية لي . اني في حاجة الى ان احتضن ولدي كي انام مطمئنة . اصغي الي ولا تفزعي مما ستسمعين : حتى اذا ما علمت ان ولدي سيعذبني يوما ويبغضني ويجرني من شعري في الشوارع فاني ساتلقى ميلاده بابتهاج ، لانه خير لي ان ابكي رجلا حيا يطعنني من ان ابكي هذا الشبح الذي جثم على قلبي منذ سنين .

العجـــوز 1 انك صغيرة جدا حتى تتبعي النصائح التي تسدى اليك . ولكن من واجبك ـ وانت تنتظرين رحمة ربك ـ ان تحتمي بحب زوجك .

يـــرمـــا آه ! انك بكلامك هذا ادميت اعمق جراحي .

دولـــريـــس انه رجل طيب ، زوجك .

يـــرمـــا (وهي تقف) رجل طيب ! رجل طيب ! ثم ماذا ؟ كنت افضله شريرا ولكنه ليس كذلك . هو

يسوق نعاجه فى الدروب التى يملكها ويعد ماله ليلا • عندما يعلونى يقوم بواجبه ، ولكن اذا ما قبضت على خصره وجدته جامدا كما لو كان جسده جسد ميت • وأنا ، أنا التي تعاف ذوات الامزجة المتأججة ، اجدنى فى تلك اللحظة اود ان اتحول الى جبل من اللهب •

دولريس يرما !

يرما لست زوجة غير محتشمة ، ولكننى اعلم ان الصغار يولدون بفضل الرجل والمرأة معا • آه ! ليتنى استطيع ان الدهم وحدى •

دولريس تذكرى ان زوجك يتالم هو ايضا •

يرما لا يتالم ، انه لا يرغب فى الاولاد •

العجوز 1 لا تقولى ذلك •

يرما اقرأ ذلك فى عينيه • انه لا برغب فيهم ، لذلك لا يعطينى ولدا • انا لا احبه ، لا احبه ، وهو مسع ذلك حظى الوحيد فى النجاة • نعم حظى الوحيد فى النجاة • هذا ما يفرضه على الشرف والعرف •

العجوز 1 (بخوف) سيطلع الصباح بعد قليل ، يجب ان تعودى الى بيتك •

دولريس بعد حين ستخرج القطعان ولا يليق ان يراك الناس وحدك •

يرما كنت فى حاجة الى ان اتحدث • كم مرة يحب ان اعيد الصلوات ؟

دولـــريـــس صلاة الـرند مـرتين ، وصلاة القـديسة (آن) عند الزوال ، ولا تنسى ان تاتى لى بالقمح الذى وعدتنى به عند ما نحبلين ·

العجـــوز 1 ها قد اشرقت السماء فوق الربى · اذهبى ·

دولـــريـــس انهم عما قليل سيفتحـون ابـواب ضياعهم فى طريقك الى بيتك · سيرى ومنعطف الوادى ·

يـــرمـــا (بفتور) لست اعرف لماذا اتيت ·

دولـــريـــس انت نادمــة ؟

يـــرمـــا لا !

دولـــريـــس (مضطـربة) ان كنت خـائفة فسـأرافقـك الى المنعطف ·

العجـــوز 1 (قلقة) سينتشر الضياء عندما تصلين الى باب الدار ·

(تسمـــع اصـــوات)

دولـــريـــس اسكتى ! (ينصتن)

العجـــوز 1 لا احد · فى رعاية الله ·
(تتجه يرما نحو الباب ، عندئذ يسمع طـرق · تبقى ثلاثتهن جامدات ·)

دولـــريـــس من بالباب ؟

صـــــوت انـــا ·

يـــرمـــا افتحى (دولريس تتردد) اتفتحين ام لا ؟

(تسمع همهمات • يظهر خوان مع اختيه •)

الاخت 2 ما هي ذي •

يرما نعم ها انا •

خوان ماذا تصنعين هنا ؟ لو كنت استطيع ان اصرخ لاحتشد سكان القرية كلها ليروا جميعا ما حدث لشرف بيتي • لكن من واجبي ان اخفي كل شيء ، وان اسكت لانك زوجتي •

يرما ولو كنت استطيع انا ايضا ان اصرخ لصرخت كي ينهض الاموات انفسهم من قبورهم ويروني ناصعة البياض نقية •

خوان لا ، لا تقولي ذلك • اتحمل كل شيء اما هذا فلا • تخونينني وتتملقين • انا لست الا رجلا يخدم ارضه • حتى حيلك فاني لا استطيع ان اتصورها

دولريس خوان !

خوان اما انتن فلا كلمة !

دولريس (بقوة) زوجتك لم تفعل سوءا •

خوان هي تسيء من اول ايام زفافنا • تنظر الى بابرتين وتقضي لياليها بجانبي وعيناها مفتوحتان ، وزفراتها الشريرة تنغص نومي •

يرما اسكت !

خوان لم اعد اتحمل اكثر من ذلك • ينبغي ان اكون من

الحديد حتى اتحمل بجانبى امرأة تريد ان تنشب اظافرها فى قلبى ثم تترك دارها ليلا سعيا وراء من ؟ قولى . وبحثنا عن ماذا ؟ لقد امتلات الشوارع رجالا . ليس هناك ازهار تقطف فى الشوارع .

يـــرمـــا لن تزيد كلمة بعد الآن ، ولو كلمة واحدة . انك واهلك تتوهمون انكم وحدكم تفكرون فى الشرف، ويظهر انك تجهل ان من كانـوا مـن طينتى لـم يحتاجوا يوما الى اخفاء شيء من سلوكهم . تعال ! اقترب منى وتشمم ثوبى . اقترب . ابحث عـن رائحة ليست رائحتك ، رائحـة جسـدك انت . تجردنى من ثيابى وسط الساحة ثم تبصق على . افعل بى ما تشاء ، فاننى زوجتك ، لكن اياك ثم اياك ان تلطخ نهدى باسم رجل آخر .

خـــوان لا اتلفظ باسـم احـد . اعنيـك انت ، واعنـى سلوكك . ان الالسنة بالقرية بدات تتهـامس ، وبدات تفصح عن اسم بذاته ، فعندما اقترب من جماعة تنطبق الشفاه ، وعندما اذهب لازن الدقيق تنطبق الشفاه ايضا ، حتى فى الليـل عند مـا استيقظ فى الحقول يخيل الى ان جميع الاغصان تصمت هى الاخرى .

يـــرمـــا لست ادرى من اين تعصف الرياح العاتية التى تحول الزرع هشيما ، وانت تعلـم مـع ذلك ان القمح طيب .

خـــوان ولست ادرى ايضا ما تبحث عنه امـرأة فى كـل ساعة بعيدا عن بيتها .

يــرمــا (تندفع نحو زوجها وتاخذه ملء يديها •) ابحث عنـك أنت ، ابحث عنك أنت ، أنت الـذى ابحث عنه ليلا نهارا دون ان اجد ظـلا استـريح فيه • انى لا اريد سوى دمك وحمايتك •

خـوان ابتعدى عنى !

يــرمــا لا تدحرنى ، حاول ان تريد ما اريده •

خـوان خلى عنـى •

يــرمــا انظر كم انا وحيدة ، كما لو كان القمر يبحث عن نفسه فى السماء • انظر الى (تحدق فيه)

خـوان (ينظر اليها ثم يدفعها بخشونة) ابتعدى عنى ولا تعودى ابدا !

دولـريـس خوان ! (تسقط برما على الارض) •

يــرمــا عندما خرجت أجنى قرنفلى اصطـدمت بجـدار • آى ! آى ! وعلى هذا الجدار يجب ان اضرب راسى •

خـوان اسكتى • هيا بنا •

دولـريـس الاهى !

يــرمــا (صائحة) لعن الله ابى الذى وهبنى دمه ، ابى هذا الذى انجب مائـة مرة • لعن الله دمى الذى يرغب فى الاولاد وهو يصطدم بالجدران •

خـوان امرتك بالسكوت •

دولـريـس هناك من يأتى • اخفضى صوتك •

يــرمــا وما يهمنى ؟ على الاقل دع صوتى حـرا طليقا ؟

اننى الآن اغوص فى اعمــق البئر · (نفــه ·)
على الاقل دع هذا الشىء اللطيف الجميل يخرج
من جسدى ، وليدو ذلك فى الفضاء ·

(تسمع اصوات)

دولـــريـــس يمرون من هنا ·

خـــــوان سكوتــا !

يـــرمــــا نعم ، نعم ··· سكوتا الا تخافى ··

خـــــوان فلنخرج سريعا ·

يـــرمــــا حسنا ، حسنا · لا فائدة في ان تلــوى يــدى ·
يمكن للمرء ان يريد براسه ·

خـــــوان اسكتى !

يـــرمــــا (بصوت منخفض) يمكن للمرء ان يريد براســه
دون ان يريد معه الجسد ، لعن اللــه الجســد ·
كتب على ألا ألد ، وليس من المعقول ان اصــارع
البحر · حسنا ! فلاخرس ! (يخرج)

ـ ستار سريع ـ

اللوحة الثانية

ضواحي منسك وسط جبل . في مقدمة الركح عجلات عربة واغطية من صوف تؤلف خيمة تجلس تحتها يرما . تدخل نسوة يحملن هدايا الى المنسك حافيات . على خشبة المسرح العجوز المرحة التي ظهرت في الفصل الاول .

(غناء وراء الستار المسدول)

فيما مضى كنت بكرا
لكنني ما عرفتك .
واليوم ها منك ادنو
اذ انت في الحج زوجة
خلي اذن عنك ثوبك !
في ظلمة سوف تحلك
بالليل عند انتصافه

العجوز (ساخرة) هل شربتن بعد من الماء المقدس ؟

الحاجة 1 نعم

العجوز والان فليكشف عن معجزته .

الحاجة 1 اننا نؤمن به .

العجوز انتن تاتين لتلتمسن من القديس اولادا ، والرجال الذين ياتون الى الحج بمفردهم عددهم يزداد من سنة الى اخرى ، فما هو السر في ذلك يا ترى ؟ (تضحك)



(تصوير كاهية)

يرما : الا هى ! جد بوردك يا الاهى
على بطنى الذى قد ظل قفرا
(الفصل الثالث ـ اللوحة الثانية)



(تصوير كاهية)

خوان : من أجل أشياء غامضة ، بعيدة عن الحياة ، من أجل أشياء تافهة يجب أن نكف الى الأبد عن هذه التذمرات المتواصلة

يرما : (متعجبة مفجوعة) تقول : بعيدة عن الحياة ؟ وتقول : تافهة ؟..

(الفصل الثالث ـ اللوحة الثانية)

الحاجة 1 فلماذا اتيت ان كنت لا تؤمنين ؟

العجوز جئت لا شاهد • انا احب المشاهدة الى درجة الجنون ، ثم جئت لاراقب ولدى ، ففى السنة الماضية تقاتل رجلان من اجل امرأة عاقر ، لهذا يجب ان افتح عينى • ثم بعد كل هذا جئت لاننى احب ذلك •

الحاجة 1 سامحك الله ! (يخرجن)

العجوز (فى تهكم حاد) فليسامحك انت • (تنصرف • تدخل ماريا ومعها المرأة الاولى)

المرأة 1 هل جاءت ؟

ماريا انظرى ! عربتها هنا • لقد وجدت صعوبة فى المجىء بها • انها بقيت شهرا دون ان تنهض عن كرسيها ، هى تخيفنى • تخامرها فكرة لست ادرى ما هى ، لكن لابد انها فكرة عاقبتها سوء ونحس •

المرأة 1 أتيت مع أختى • انها تأتى منذ ثمانية أعوام بغير نتيجة •

ماريا كل امرأة كتب عليها ان تلد كان لها اولاد •

المرأة 1 هذا ما اقول •

(تسمع أصوات •)

ماريا ما أحببت هذا الحج قط • هيا ! فلنلتحق بالآخرين انهم بالبطحاء •

المرأة 1 فى السنة الماضية عندما اظلم الليل انقض بعض الرجال على اختى وعبثوا بصدرها •

ماريا لا تتناقل الالسن حولنا الا انباء هذه الفظائع .

المرأة 1 رايت وراء المنسك اكثر من اربعين برميلا من الخمر .

ماريا وانا رايت سيلا من الرجال وحدهم ينحدر من هذه الجبال .

(تسمع اصوات . تدخل يرما مع ست نساء فى طريقهن الى الكنيسة . هن حافيات الاقدام ويحملن شموعا منحوتة . بدا الظلام ينتشر .)

ماريا إلاهى ! هب لوردتنا النضاره
ولا تجعل لها عيشا ذليلا !

المرأة 2 ودع ذى الوردة الشقراء تزهو
فتبدو للعيان ولا ذبولا .

ماريا إلاهى ! هب إماءك يا إلاهى
قليلا من جذى الارض الخصيبه !

جوق النسوة إلاهى ! هب لورتنا النضاره
ولا تجعل لها عيشا ذليلا !

يرما سماء الله قد غصت حقولا
بها الورد الشذى يفوح بشرا
وفى هذى الحقول الزاهيات
نما ورد يفوق السحر سحرا ،
ويحكى رقة نور الصباح ،
وارواح السماء تقيه شرا
واحداق تحاكى الاحتضارا .

باجنحة تزمجر كالرياح
حوالى كل كم من كمامه
ارى دافى الحليب يسيل نهرا
ويلهو ، ثم يسقى وجه نجم
تلالا فى الفضا الصافى منيرا ٠
إلاهى ! جد بوردك يا إلاهى
على بطنى الذى قد ظل قفرا !

(ينهضن)

المرأة 2 إلاهى ! يا إلاهى كن رحيما
واطفىء خدها المصهود نارا !

يرما تقبل توبتى وامسح ذنوبى
فحجى كان تقديسا وبرا
وهذا الورد يحوى ألف شوك
ولكن ليته فى الجسم غارا !

الجوق إلاهى ! هب لورتنا النضاره
ولا تجعل لها عيشا ذليلا !

يرما إلاهى ! قد ذوى جسمى ٠ إلاهى !
متى أحظى بورد فى حقولى ؟

(يخرجن)

(من الجهة اليسرى تدخل فتيات فى ايديهن اشرطة طويلة وهن يجرين من الجهة اليمنى ٠ تدخل ثلاث فتيات ينظرن وراءهن ٠ من الركح تتصاعد تدريجيا اصوات ورنات جلاجل ونواقيس صغيرة ٠ فى اقصى الركح وفى الجهة اليسرى الفتيات السبع يلوحن بالاشرطة ٠ الدوى يرتفع ، ويدخل شخصان تنكرا فى زى خشن

وتقنعا بقناع مضحك • احدهما فى صورة رجل والاخر فى صورة امرأة • يمسك الرجل بقرن ثور • منظرهما ليس قبيحا بل يتجلى فيهما الجمال القروى الشعبى • تهز المرأة قلادة من الجلاجل الكبيرة• يغص اقصى الركح بالناس وترتفع اصواتهم ثم يبدا الرقص • ظلام الليل يكاد يحلك •)

طفل — الشيطان وزوجته ! الشيطان وزوجته !

الانثى (المراة المتنكرة) — مياه شواهق الأجبال تجرى
وفيها ترتمى احدى الغوانى
فتسبح ، بينما الحلزون يسرى
الى اعلى تويبتها الهجان •
وريح الصبح ما تنفك تذرى
دقيق الرمل من آن لآن ،
فتضحك عند ذاك بكل بشر
وكشحاها بلطف يرقصان •
فيا لبهائها والجسم عار
يلوح الحسن منه لذى عيان !

طفل — لماذا هذه الحسناء تشكو ؟

الرجل 1 — لان الحب أذواها ، فأودى
بها الاعصار والسيل الجراف •

الرجل 2 — لتفصح هذه عن مرتجاها !

الرجل 1 — لتكشف هذه عن مبتغاها !

الرجل 2 — ذوت احشاؤها فغدت عقيما
وغاض جمالها وذوى بهاها •

الانثى — أنا لا أكشف السر الرهيبا

هنا الا اذا اشتد الظلام ٠
اذا ما اقبل الليل البهيم
فسوف أمزق الثوب القشيبا ٠

طفل وذا الليل المقدس قد أتانا
وظلمة موجه قد فاجأتنا
فعم سوادها سيل الجليد
فصار ضياؤه كدرا وطينا ٠

(تسمع الحان قيثارات)

الذكر أى جمود عراها
أى بياض كساها
ذى الزوجة المستكينة
تلك التى قد توارت
تشكو وراء الغصون ٠
لكن ثوبا عريضا
سوف يغطى قريبا
جسمها هذا الرطيبا
قرنفلات وودا (يقترب)

ان انت للحج جئت
تبغين خصبا لبطنك
فلتتركى ذا الحدادا
ولتكتسى بالبياض
ثم اذهبى أنت وحدك
الى جدار توارت
أشجار تين وراءه
ثم احملى ثقل جسمى
حتى يلوح الصباح

كم وجهها صار يشرق !
كم حسنها راح يبرق !
كم هي تهتز بشرا !

الانثى ان الهوى قد حباها
اكليل زهر وتاجا
وفى اللهاة رماها
بحربة ذهبية

الذكر انت لذا الامر سبعا
وجسمها اهتز تسعا
وخمس عشرة مرة
تعانق الياسمين
وأطيب البرتقال

الرجل 3 بادر اليها بقرنك !

الرجل 2 سارع اليها بوردك
وارقص لها فى اختيال !

الرجل 1 كم هى تهتز بشرا !

الذكر فى الحج دور الرجال
تفرد بالسياده
نحن الرجال فحال
دوما نروم القياده
وصاحبات الجمال
يغمرننا بالسعاده

طفل طف حولها كالنسيم !

الرجل 2 سر نحوها بالغصون !

الذكر هيوا انظروا كيف نور
حسن التى منذ حين
بالنهر كانت تعوم

الرجل 1 كالخيزران تثنت

الانثى كيانع الزهر لانت

الرجل 2 فلتمض كل العذارى !

الجوق سماء الله قد غصت حقولا
بها الورد الشذى يفوح بشرا
وفى هذى الحقول الزاهيات
نما ورد يفوق السحر سحرا
(ينصرفون وهم يرقصون ويصفقون . تمر فتاتان وهما تصيحان)
(تدخل العجوز الوثنية الخليعة)

العجوز هل ستدعوننا نرقد ؟ (تدخل يرما) انت ؟ (يرما منهوكة القوى لا تتكلم .) قولى ، لماذا اتيت ؟

يرما لا ادرى .

العجوز الم تقتنعى ؟ وزوجك ؟
(يرما تقوم باشارة تدل على تعبها الشديد وعلى الفكرة الثابتة التى تنخر راسها .)

يرما انه هنا ، قريبا .

العجوز ماذا يفعل ؟

يــــرمـــــا يشـــرب خمـــرا • (صمت • تـــرفـــع يـــديها الى جبينها •) آى !

العجــــوز آى اى فلــلى من آى ، ثــم ازدادى شجــاعة • لم استطع ان اقول لك شيئــا من قبــل • امــا الآن فسافصح •

يــــرمـــــا وهل عندك شيء اجهله ؟

العجــــوز عندى ما لا استطيع كتمانه ، ما يصرخ به الخاص والعام • هذا ذنب زوجك ، اتسمعين ؟ اراهــن على ذلك بقطع يدى ، فلم يسلك قط أبوه ولا جده ولا جد جده سلوك الرجل الفحل الاصيل ، ولكى يرزقوا ولدا كان لابد ان تقلب الارض والسمــاء راســـا عــلى عقــب • الــدم الــذى يجــرى فى عروقهم بصاق ، اما اهلــك انت فهــم من طينــة اخرى ، فلك اخوة وابناء اعمــام فى كــل حــدب وصوب • يالها من لعنــة حلت بفتــاة فى هــذا الحسن والجمال •

يــــرمـــــا لعنة • غديـــر من السم صب على حقــل استوى زرعه على سوقه •

العجــــوز لكن لك رجلان لتعودى الى بيتك •

يــــرمـــــا لأعود الى بيتى ؟

العجــــوز عندما رايتك فى الحج تلقيت صدمة آلمت قلبى ، فالنساء ياتين هنا ليتصلــن برجــال اخــرين . والقديس يقوم بالمعجزة • ولدى وراء المنسك ينتظرنى • نحن فى حاجــة الى امــرأة بالمنزل •

اذهبى معه وسنعيش معا نحن الثلاثة · اما ابنى فدمه حار مثلى ، انك ستشمين فى بيتى رائحة المهد · اما فراشك فسيضيق بالاطفال الذين ستلدينهم وتطعمينهم · اذهبى · لا تعيرى وزنا كلام الناس · اما زوجك فلنا فى بيتنا من الشجاعة والاسلحة ما يجعله لا يجروء حتى على المرور بحينا ·

يرما اسكتى ! اسكتى ! لن افعل ذلك ابدا · لن افعل ذلك ابدا · لست من النساء اللائى يخرجن لصيد الرجال · او تظنين انه فى امكانى ان اعرف رجلا آخر ؟ ماذا تفعلين بشرفى ؟ ان الماء لا يصعد الى العين التى انفجر منها ، والبدر لا يطلع عند الزوال · ابتعدى عنى · سوف اتبع طريقى · اكنت تعتقدين حقا انه فى مقدورى ان أكون لرجل اخر وان اذهب كالمملوكة اطلب شيئا يجب ان يكون لى ؟ يلزم ان تعرفينى جيدا · لا تكلمينى من اليوم ابدا · انا لا ابحث ·

العجوز عندما تكونين ظمأى الاجدر بك ان تشكرى من قدمت اليك ماء ·

يرما انا اشبه حقلا يابسا يمكن لالف ثور ان تحرثه ، وانت تقدمين الى كاسا صغيرة من ماء بئرك · ان المى ليفوق الم الجسد ·

العجوز (بصوت قوى ·) ابقى على حالك اذن · انت التى تريدين ذلك · ابقى كسدر الصحارى شائكة ذاوية ·

يرما (بقوة) ذاوية ، نعم ، اعلم ذلك ! لا داعى ان

نحرقى فمى بهذا الكلام . لا تعبنى مثلما يعبث الطفل الشرير الذى يلذ له ان يشاهد حيوانا صغيرا يحتضر . منذ ان تزوجت وانا انظر فى هذا الامر ثم انظر . لكن هذه هى المرة الاولى التى يجرؤ فيها احد فيجاهرنى به ، المرة الاولى التى الطم به على وجهى ، والمرة الاولى التى اشعر انه حق .

العجوز انا لا اراف بك ولا اعطف عليك بالمرة . سابحث لولدى عن فتاة اخرى .
(تخرج . تسمع بعيدا انشودة يغنيها جوق من الحجيج . تتجه يرما نحو العربة . يظهر زوجها من وراء العربة)

يرما كنت هنا ؟

خوان كنت هنا .

يرما ترقبنى ؟

خوان ارقبك .

يرما وسمعت ؟

خوان نعم .

يرما ومن بعد ؟ دعنى . امض لتغنى مع الاخرين .
(تجلس على الاغطية)

خوان حان الوقت لاتكلم انا ايضا .

يرما تكلم .

خـــــوان وحان الوقت لاشكو ٠

يـــرمـــا وما هى الدواعى ؟

خـــــوان المرارة تملا حلقى ٠

يـــرمـــا وانا ، تملا عظامى ٠

خـــــوان يجب ان نكف الى الابد عن هذه التذمرات المتواصلة من اجل اشياء غامضة بعيدة عن الحياة ، من اجل اشياء تافهة ٠

يـــرمـــا (متعجبة مفجوعة ٠) تقول : بعيدة عن الحياة ؟ وتقول : تافهة ؟

خـــــوان من اجل اشياء لم تحدث وليس لنا فيها دخل ٠

يـــرمـــا (بعنف) واصل ، واصل ٠٠٠

خـــــوان من اجل اشياء لا تهمنى ابدا ٠ اتسمعيننى ؟ ان هذه الاشياء فى نظرى لا قيمة لها البتة ٠ يجب اخيرا ان اصارحك برايى ٠ الهام عندى انا هو ما امسكه بيدى وما اراه بعينى ٠

يـــرمـــا (رافعة راسها ، جـاثية يائسة ٠) هكـذا ٠٠٠ هكذا ... هذا ما كنت اريد ان اسمعه منك ٠ اننا لا نصغى الى الحقيقة عندمـا تكون كـامنة فينا ، ولكن ما اعظمها وما اقوى صراخها عندما تنطلق منا وترفع ذراعيها ٠ كل هذا لا قيمة له فى نظره لقد سمعت ذلك جيدا ٠

خـــــوان (وهو يقترب منها ٠) عليك ان تؤمنى ان الامر يجب ان يكون هكذا ٠ اصغى الى ٠٠٠ (يحتضنها

ليساعدها على النهوض) كثيرات هن النساء اللائى يكن سعيدات لو يعشن مثلك ، فالعيش بدون اولاد يكون اهنا ، وانا سعيد بانني لم انجب . ثم ليس الذنب ذنبنا .

يرما فعما كنت تبحث في اذن ؟

خوان كنت ابحث عنك انت .

يرما (حانقة .) هذه بغيتك ! كنت تبحث عن بيت وعيش هانيء وامراة ليس الا . هل صحيح ما اقول ؟

خوان صحيح . ككل الرجال .

يرما والبقية ؟ وابنك ؟

خوان (بقوة) الا تفهمين ان كل ذلك لا يعنيني ؟ كفى عن السؤال . ها انا اصرخ في اذنيك كي تعلمي جيدا ، علك تقبلين ان تعيشي عيشا هادئا .

يرما ألم تفكر فيه بالمرة وانت ترى كم انا اشتهيه ؟

خوان بالمرة . (يجلسان)

يرما ولا استطيع حتى ان اتمناه ؟

خوان لا .

يرما ولا انت ايضا ؟

خوان ولا انا ايضا . اسلمي امرك الى الله !

يرما يا للفضيحة !

خـــــوان سنحيا معا حياة وديعة حلوة لذيذة · قبليني · (يعانقهـا ·)

يــرمـــا عما تبحث ؟

خـــــوان أبحث عنك انت · انت فاتنة فى ضوء القمر ·

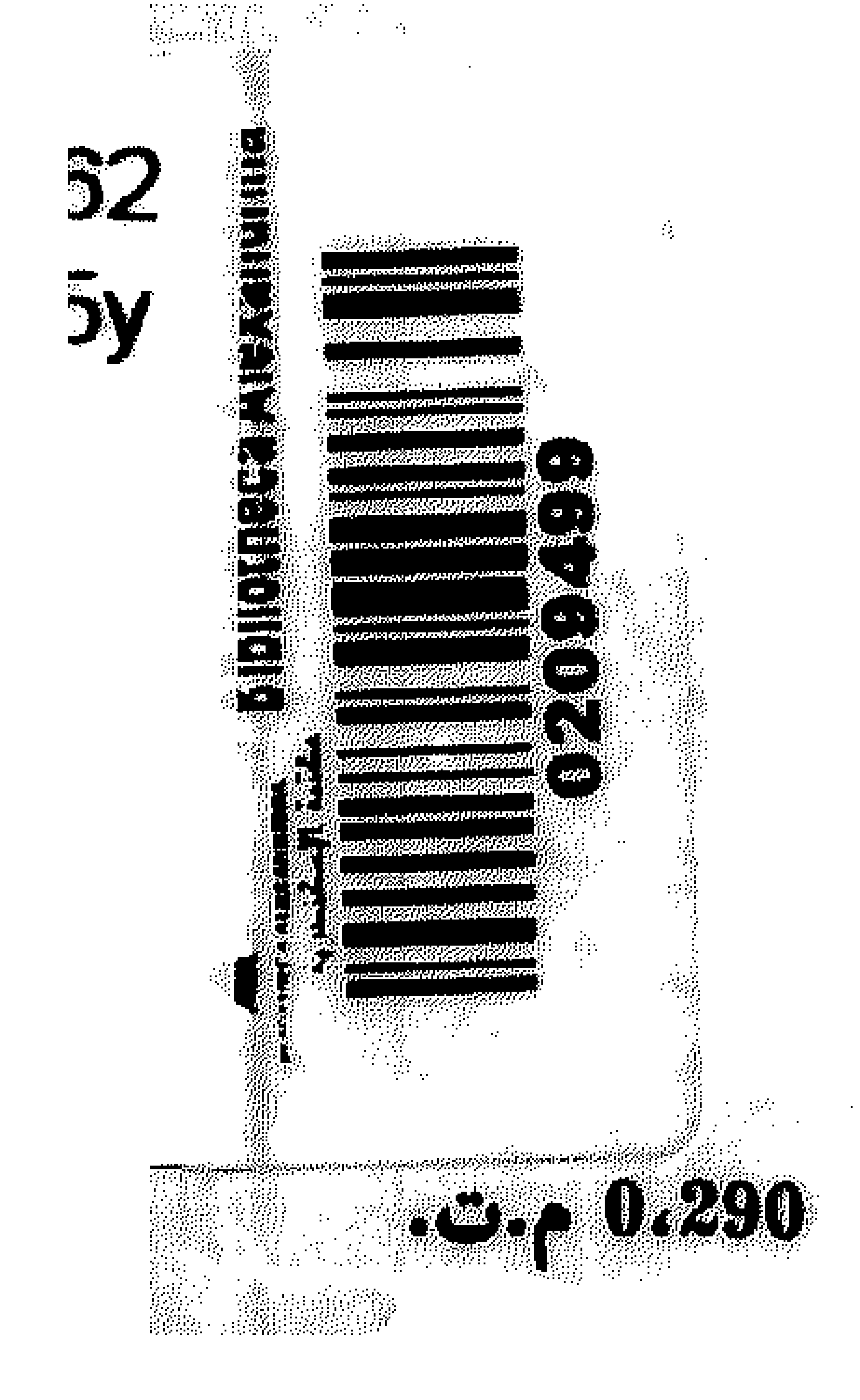
يــرمـــا تبحث عنى كما لو كنت تريد ان تلتهم حمامة ·

خـــــوان قبليني ··· هكذا ·

يــرمـــا اما هذا فابدا · ابـدا · (يرمـا تصرخ وتضغط بيديها على حلـق زوجهـا ، فيسقط وظهـره الى الارض · تواصل يرما ضغطها الى ان يموت) يـا للفضيحة · انها الفضيحة . لكنى متأكـدة ممـا أعمل · نعم أرى أن الامر حـق واراه وحـدى · (تنهض ، ياتى القـوم) سامضى لاستريـح الى الابـد دون ان استيقظ منــزعجـة لأرى هــل يحمل دمى بشرى دم جديـد · سيبقى جسدى جافا الى النهاية · ماذا تريدون منى ؟ لا تقتربوا ! قتلت ولدى ! بيدى قتلت ولدى ·

(جمع من الناس كانوا فى مؤخر الركـح يقبلون مسرعين · يسمع جوق الحجيج ·)

تـــم طـبـــع هــــذا الكتـــاب
فـى شـهـــر نـــوفمبـــر 1968
بمطبعة الشركة التونسية لفنون الرسم


62
5y
Bibliotheca Alexandrina
0209499
0،290 م.ت.